وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة غـــــرداية
كليَة الآداب واللغات
قسم اللَغة والأدب العربي
مدرسة الدكتوراه

العنـــوان:

القضايا التداولية في شواهد ولغة كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدّين بن الأثير الجزري

مذكّرة مقّدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة والأدب العربي
تخصّص علوم اللسان وتحليل الخطاب

إعداد الطالب:
عبد الله دحمان

إشـــــراف:
أ.د/ حواس مسعودي

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
د/ بن يحي يحي	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د/ حواس مسعودي	جامعة الجزائر	مشرفا ومقررا
أ.د/ الطيب دبة	جامعة الأغواط	مناقشا
د/ بوعلام بوعامر	جامعة غرداية	مناقشا
د/ خويلد محمد الأمين	جامعة الجلفة	مناقشا

الموسم الجامعي: 1435-1436هـ/2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص:

تعد التداولية أبرز ميدان يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، دون أن تهمل المعنى الذي يحدده السياق، و بالرغم من أن التداولية هي مبحث لساني غربي النشأة، إلاّ أنّ المتصفح لكتب التراث العربي يجد مبادئ التداولية ومفاهيمها، وهناك دراسات أجريت على مؤلفات عربية اكتشف من خلالها تجليات للدرس التداولي الحديث.

إنّ كتاب "الجامع الكبير" لابن الأثير يعتبر خطابا موجها إلى متلقي يعكس العصر الذي عاش فيه، وهو عصر يتميز بالفتوحات الإسلامية، ومن ثمّ تتجلى القضايا التداولية التالية: أفعال الكلام، الحجاج، القصدية، كما يبرز اهتمامه بالمتكلم، والسامع، وسياق الكلام إذ يراعى السياق والغرض الذي ينشده المتكلم.

Résumé:

La pragmatique : est le champ le plus intéressé à étudier la langue dans l'usage, Bien qu'elle soit une étude nait en occident, on trouve dans le patrimoine arabe les principes et les concepts de la pragmatique. Il y a aussi des études menées sur la littérature arabe dans lesquelles on a découvert la présence du discours pragmatique moderne.

Le livre, "Eldjamie el Kabir" d'Ibn Al-athir est une lettre adressée au destinataire, et qui reflète l'époque dans laquelle il vivait, une époque caractérisée par les conquêtes islamiques, et traduit alors les questions pragmatiques suivantes: actes de parole, les argumentations, l'intentionnalité ; et met également en évidence son intérêt à l'émetteur, l'auditeur, et le contexte du discours, car il prend en compte le contexte et le but recherché par l'émetteur.

Summary:

The pragmatic: is the field most interested to study the language in use, Although a study was born in the West, we find in the Arab heritage principles and concepts of pragmatics. There are also studies Arabic literature in which it was discovered the presence of the modern pragmatic speech.

The book, " Eldjamie el Kabir" Ibn Al-athir is a letter to the recipient, and that reflects the times in which he lived, an era of the Islamic conquests, and then translates the following practical questions: speech acts, the arguments, the intentionality; and also highlights its interest in the issuer, the listener, and the context of the discourse, because it takes into account the context and the goal sought by the issuer.

الإهداء

إلى أرواح أجدادنا العلماء الأجلاء...

إلى أرواح أجدادنا الثوار الأحياء...أحياء رغم الرحيل...

إلى روحي جدي وجدتي الطاهرتين...

إلى الوالدين الكريمين، محبة وتبجيل ... هيهات رد الجميل... وأمدكما الله بالعمر الطويل...

إلى إخوتي وأخواتي دون تفضيل...

إلى زميلتي "حياة كبير " و "ربيعة شلقي" أقل مايقال عنهما منارتان للتائهين في صحراء الحياة التي لا ترحم...

إلى زملائي البقية في مدرسة الدكتوراه من تخصصي علوم اللسان وتحليل الخطاب و الادب العربي قديما وحديثا...

إلى كل محب متحدث بلغة القرآن الكريم غيور عليها غيرته على دينه و زوجته و أملاكه...

أهدي هذا البحث... و من الله التوفيق والسداد

عبد الله

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقنا لانجاز هذا العمل المتواضع راجين منه الإفادة والاستفادة، فيا ربي لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

لابد لنا ونحن نخطو هذه الخطوة في رحاب الحياة الجامعية من وقفة نشكر فيها أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد وأخص بالتقدير والشكر الأستاذ المشرف الدكتور الحواس مسعودي على تفضله بالإشراف على الدراسة والذي تحمل معي مشاق البحث وكان لي العون والمرافق وشاركني المعاناة.

كما أقدم شكري للجنة الأساتذة المناقشين الذين تكبدوا عناء قراءة البحث وتقويم اعوجاجه فجازاهم الله خيرا.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وامتناني إلى الدكتور مدور محمد ، والدكتور سرقمة عاشور ، والدكتور بن سمعون سليمان.

والشكر موصول إلى عمال المكتبة بجامعة غرداية وعلى رأسهم مديرها أحمد رقاقبة الذي رحب بنا في كل الأوقات ووقف إلى جانبنا.

كما لا ننسى الطلبة و المؤطرين في كلية الآداب واللغات بجامعة غارداية

وكذلك نشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث وقدم لنا العون ومدّ لنا يد المساعدة وزودنا بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث.

عبد الله

المقدمة

المقدمة:

إن التداولية وإن كانت مفهوما جديدا في الدراسات اللسانية الحديثة ، إلا أنّ وجود معالم هذا المفهوم في التراث العربي واضحة تمام الوضوح ضمن استعمالات الكلام بمختلف سياقاته و مسائله البلاغية ، والنحوية والأصولية ، فاستعمال اللغة يقف على إمكانات تتصل بأغراض المتكلم الرئيسية ، و التي تسهم في توجيه الخطاب حسب ما يريده ، وفق ما يقتضيه سياق ذلك الخطاب الموجّه نحو متلقي معين.

إنّ ميدان التداولية أصبح محل اهتمام كثير من العلوم التي تهتم بالإنسان وفكره اللغوي ،كاللسانيات وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، وغيرها ؛ فهي بهذا جديرة أن تكون أشمل وأعمق في البحث و التفكير من كثير من العلوم التي سبقتها وبقيت عاجزة عن تلبية مطالب الباحثين فيها وإجابة أسئلتهم.

نتجت التداولية من عدة منابع معرفية أهمها الفلسفة التحليلية ، والوضعانية المنطقية ، وفلسفة اللغة ، وقد انبثقت عن هذا الاتجاه البحثي الجديد مفاهيم جوهرية شكلت نواة الدراسات اللسانية الحديثة من بينها : **نظرية الأفعال الكلامية** التي ظهرت مع أوستين ، وتطورت مع تلميذه سيرل ، وشكلّت هذه النظرية في بادئ الأمر محور التداولية أو التداولية بحد ذاتها، **والحجاج** الذي يهدف في أساسه إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه بالاعتماد على آليات حجاجية ملائمة. إضافة إلى مفاهيم تداولية أخرى كالاستلزام الحواري ، والافتراض المسبق ، والملاءمة ، والقصدية ، وغيرها. كما تهتم الدراسات التداولية بالمتكلم ومقاصده ، والسامع وظروفه وقدرته ، وكذا بالسياق الذي تتم فيه العملية التواصلية.

حيث تعد كتب اللغة ميدانا خِصباً غنيا بالقضايا التداولية، ومن أبرزها ،كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" لابن الأثير الذي ألّفه في عصر الفتوحات الممتد من النصف الثاني من القرن السادس إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري فكانت مواضيعه في مجملها تهدف إلى الإقناع والاهتمام بمقاصد المتكلمين، والاعتداد بظروفهم ، والسياق الذي قيل فيه الخطاب، ومن هنا كان عنوان هذه الدراسة "**القضايا التداولية في شواهد ولغة كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين بن الأثير الجزري**" واقتصرتُ فيه على القطب الثاني من هذا الكتاب موضوعًا للدراسة والتحليل.

اخترت هذا الموضوع لدوافع عدة أهمها: تعلقي بالتراث العربي و الرغبة في دراسته دراسة عصرية تلفت أنظار الباحثين لخوض غمار البحث فيه و بعثهِ ، والاستفادة مما وصل إليه اللغويون السابقون ، فلا يمكن إغفال ما

وصلوا إليه بأي حال من الأحوال ، ومن ثمَّة الكشف عن تلك القضايا اللغوية التي أسالوا فيها ومازالوا حبراً كثيرا ملأ بطون الكتب ، ومحاولة مقابلتها بالأفكار اللسانية الحديثة.

يتوفر كتاب "**الجامع الكبير**" لابن الأثير على عدد من القضايا التداولية، ونظرا للأهمية التي يحملها هذا الموضوع انطلقت من السؤال التالي : ما هي أبرز القضايا التداولية في كتاب الجامع الكبير لابن الأثير؟ والذي يتفرع بدوره إلى أسئلة تصاغ على النحو التالي:

-كيف تبلورت مختلف القضايا التداولية وفق عصر ابن الأثير:؟

-هل الأشكال البلاغية و الإقناعية التي يتوفر عليها كتاب الجامع الكبير تتوافق مع مفاهيم التداولية واللسانيات الحديثة؟

-إلى أي مدى يعد كتاب ابن الأثير تجسيدا للقضايا التداولية؟

وقد ارتكزتُ في هذا البحث على المنهج التداولي الذي يقوم على رصد الظاهرة اللغوية داخل الاستعمال ، ويراعي عناصر الخطاب من متكلم وسامع وسياق ، إلى جانب المنهج التحليلي الذي اعتمدته في عرض مفاهيم وإرهاصات التداولية و في إبراز اتساعها وتعمقها ودخولها في مختلف المعارف والعلوم.

وكإجابة عن التساؤلات المطروحة سابقا ارتأيتُ أن أقسم هذه الدراسة إلى :

-مقدمة.

-تمهيد : التعريف بالمؤلِّف والمؤَلَف.

الفصل الأول: أفعال الكلام في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول : نظرية الأفعال الكلامية

المبحث الثاني : أفعال الكلام عند ابن الأثير

الفصل الثاني : الحجـــاج والقصدية في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول : الحجاج

المبحث الثاني : القصدية

الفصل الثالث : المتكلم والسامع والسياق في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول : المتكلم

المبحث الثاني : السامع

المبحث الثالث : السياق

-خاتمة عرضت فيها النتائج المستخلصة.

وأهم الصعوبات التي اعترضتني في هذه الدراسة هي:

تعدد المفاهيم و تباين الآراء المتعلقة بالتداولية وذلك لتعدد منابعها ، وكذا صعوبة تطبيق مثل هذه المناهج على الكتب التراثية التي تتسم بمزجها بين عدة علوم لغوية وعدم الفصل بينها ، وذلك لأن الدراسات اللغوية كانت تعتمد الشمولية ، قلة الجانب التطبيقي الذي يطبق إجراءات التداولية على التصانيف اللغوية العربية مما صعب مهمة البحث.

وقد اعتمدتُ في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها : كتاب الجامع الكبير لضياء الدين ابن الأثير وهو المصدر الأساسي في هذا البحث ، إضافة إلى كتب في التداولية وتحليل الخطاب أهمها: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة ، واستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري ، واللسانيات الوظيفية لأحمد المتوكل، وكتب فلسفية مثل: (دراسات في فلسفة اللغة لمحمد مهران رشوان ، فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة كواين لصلاح إسماعيل ، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة لعبد الفتاح الديدي...)، وبعض المعاجم اللغوية كـ (لسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي...) وغيرها.

وفي الأخير أحمد الله العزيز الكريم على ما وفقنيإليه ، ونرجو أن نكون قد حققتُ أهم أهداف هذه الدراسة فما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي.

والله أسأل السداد والتوفيق

الطالب : عبد الله دحمان

غرداية في:2015/09/21م

dahmane.47200@gmail.com

تمهید

1- التعريف بالمؤلف:

-**مولده ونشأته:** هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بم عبد الواحد الشيباني، المعروف باسم الأثير الملقب بضياء الدين ابن الأثير. [1] «ولد بجزيرة "ابن عمر" التي ينسب إليها في 20 شعبان 558هـ، و بها نشأ، ثم انتقل إلى الموصل مع والده حيث درس الأدب والنحو واللغة وعلم البيان وأتم حفظ القرآن الكريم وجزءا كثيرا من الأحاديث النبوية». [2]

واطلّع على عدد من الكتب فقرأ لأبي الحسن بن بشير الآمدي، وأبو عثمان الجاحظ، وقدامة بن جعفر، والغانمي وغيرهم، كما كان مطلعا على الكتب السماوية وبعض اللغات الأجنبية كالفارسية. [3]

ولما اكتملت لابن الأثير الأدوات رحل إلى الشام، حيث كانت دولة القلم والعلم مزدهرة جنبا إلى جنب مع دولة السيف والجهاد ، وقصد ابن الأثير الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي بدمشق سنة 587هـ فوصله القاضي الفاضل بخدمة صلاح الدين بضعة أشهر، ثم صار إلى خدمة ولده الملك الفاضل نور الدين فاستوزره هذا، ولما توفي والده استقل بمملكة دمشق، واستقل ضياء الدين بالوزارة، وردت إليه أمور الناس، لكنه أساء التدبير والمعاملة مع أهلها ولم تحمد سياسته، فخرج منها مستخفيا في صندوق مقفل [4] هربا من أعل دمشق الذين هموا بقتله بعد أن أخذت دمشق من الملك الأفضل، وانتقل إلى صرخد، فتبعه ضياء الدين إلى مصر لما استدعي لنيابة ابن أخيه الملك منصور.

ولما اضطربت أحوال الملك الأفضل وخرج من مصر، خرج ابن الأثير مستترا أيضا، وغاب عن مخدومه الملك الأفضل ردحا من الزمن، ثم عاد فالتحق به في "سميساط" على الفرات، ومكث عنده مدة ثم فارقه من غير مآب سنة 608هـ، وسار في خدمة أخيه السلطان الظاهر غازي صاحب حلب، وتنقل بين أمراء الموصل فإربل،

---

[1] ينظر، ضياء الدّين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلق عليه د أحمد الحوفي، و د بدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والطباعة، الفجالة، القاهرة مصر، دت ط، مج5، ص07.

[2] ضياء الدين ابن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح د مصطفى جواد ود جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956م، ص09.

[3] ينظر، أحمد مطلوب، ضياء الدين ابن الأثير –سيرة ومنهج–مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، د ب ط، 1988، ص09.

[4] ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ط2، دط، د ت ط، ج7، ص354.

فسنجار، فحياة ابن الأثير سلسلة متعانقة من التنقل في البلاد، وأخيرا استقرَّ في الموصل، [1] كاتبا لديوان إنشاء صاحب الموصل الذي كان يرسله إلى بغداد ليمثله في دار الخلافة العباسية، توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد، قال الأتابكي: «وتوفي الصاحب ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الشيباني الجزري الكاتب مؤلف كتب المثل السائر في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة وله نحو من ثمانين سنة». [2]

وكان لابن الأثير ولد نبيه اسمه "محمد" ولقبه "الشرف" ولد في الموصل في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة، له نظم ونثر حسن وعدة تصانيف نافعة. [3]

آثاره:

ترك ابن الأثير ثروة أدبية تمثلت في ترسله ومؤلفاته التي عكف على كتابتها وتصنيفها في المرحلة الأخيرة من حياته، بعد أن عاد إلى مسقط رأسه واستقر به المقام، وكتب ابن الأثير تشمل البلاغة وفن الكتابة والتي كانت سبيلا إلى ديوان الإنشاء والوزارة، وقد وصل إلى ذلك بفضل ثقافته الواسعة والمتنوعة، يقول ابن خلكان: "ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله." [4] ويقول جورجي زيدان: "ومع ما عاناه في حياته من المشاغل، فقد خلف آثارًا أدبية ذات شأن لأنه كان شديد الرغبة في الأدب وغيره." [5] ومعظم آثاره مخطوطة ولم يطبع منها إلا القليل. ومن أشهر مؤلفاته ما يلي:

1-الجامع الكبير: وهو موضوع بحثنا وسنتطرق ‘ليه بشيء من التفصيل لاحقا.

2-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:

[1] ينظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ط1، ج5، ص25-26.

[2] .أحمد مطلوب، م س، ص31.

[3] ينظر ابن خلكان، م س، ص138.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص27.

[5] جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، د م ط، د ت ط، ص54.

يعد هذا الكتب من أهم كتب ضياء الدين بن الأثير. يقول ابن خلكان: «ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله، كتابه الذي سماه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) وهو في مجلدين جمع فيه فأوعى ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة لا ذكره.»[1]

ويقع الكتاب في مقدمة ومقالتين، فالمقدمة تشمل علم أصول البيان والمقالتان تشملان الصناعة اللفظية (اللفظة المفردة، الألفاظ المركبة، السجع، التصريع، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها، المعاظلة اللفظية، المنافرة بين الألفاظ في السبك) والصناعة المعنوية (الاستعارة، التشبيه، الالتفات، التقديم والتأخير، الإيجاز، الإطناب، الكناية والتعريض، التضمين، والتوشيح والسرقات).

3-كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب:

وهذا الكتاب يندرج ضمن علم البلاغة، وما يتصل بها من النقد وهو مختلف عما جاء به في المثل السائر يقول المحقق النيوي شعلان: «وهذا الكتاب يعتبر نموذجا آخر غير كتاب المثل السائر، وذلك لأنك لا تجد فيه تمجيده لنفسه، وإنما اكتفى بعرض الآراء النقدية والبلاغية التي قالها السابقون، أو التي استنتجتها قريحته.»[2] وبهذا نجده مختلفا عن المثل السائر من حيث التوسع والتحليل للقضايا الشكلية.

4-الوشي المرقوم في حل المنظوم:

قال ابن خلكان: وله كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم، وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة"، [3]وهذا الكتاب خاص بصناعة الإنشاء، يقول ابن الأثير:«أما بعد فإن لكتبة الإنشاء لبا وقشرا، وبطنا وظهرا، وقد وجدت الناس فيها طريقا قد سمج غابرها، وطرقت حتى استوى في المعرفة بها جاهلها وخابرها.»[4]

وقد بناه على مقدمة وثلاثة فصول:

الأول: في حل الشعر.

---

[1] ابن خلكان، م س، ج7، ص142.

[2] ضياء الدين ابن الأثير، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تح النبوي عبد الواحد شعلان، الزهراء للإعلام الآلي، ط1، 1994م، ص18.

[3] ينظر ، ابن خلكان، م س، ج5، ص87.

[4] أحمد مطلوب، م س، ص52.

الثاني: في حل آيات القرآن الكريم.

الثالث: في حل الأخبار النبوية.

وغرضه من الكتاب تعليمي قال: «لأنه كتاب تعليم وتمثيل لا كتاب تكثير وتطويل»،[1] وقد كان الكتاب في عصر ابن الأثير يؤمنون بأن القرآن الكريم والشعر البليغ هما الينبوعان اللذان يستقون منهما معانيهم وألفاظهم، ولذلك عكفوا عليها، وعلى الحديث الشريف واستفادوا من ذلك كثيرا ورسائلهم في الأغراض المختلفة.

5-ديوان ترسله:

لضياء الدين ديوان ترسل، وهي مجموعة كتبه ورسائله التي كتبها حينما كان كاتبا لديوان الإنشاء ووزيرا، قال ابن خلكان: «وله أيضا ديوان في عدة مجلدات، والمختار منه مجلد واحد»،[2] وقد بقي كثير من هذه الرسائل والكتب مفرقا، ولهذه الرسائل أهمية كبيرة فهي تصور حياة ابن الأثير تصويرا دقيقا، وتبين بيئته وعصره، ومن هذه الرسائل ما صور الحروب الصليبية وحروب صلاح الدين الأيوبي، ومنها ما صور الحياة السياسية والاجتماعية في تلك العهود وعلى الرغم من ضياع الكثير منها قد عثر على الجزء الثاني من ديوان ترسل ضياء الدين، وهو وهذا الجزء في خزانة مخطوطات الجامعة الأمريكية ببيروت، وهو في 230 صفحة.[3]

6-المعاني المنشا في حديقة الإنشا:

وهو كتاب يرمي إلى تمرين كاتب الإنشاء وإعداده وإمداده، وقد رتبه ابن الأثير على بابين:

-الأول: في مراتب الكتب والمخاطبات وكيفية وضع الأسماء ومجالها، وفي صور العنوانات والألقاب والرتب ووضع الأسماء.

[1] المرجع السابق، ص52.
[2] ابن خلكان، م س، ج5، ص28.
[3] ينظر، أحمد مطلوب، م س، ص58.

-الثاني: في وضع الأدعية والأدعية لأرباب الملل غير الإسلام وتوابع الأدعية الواقعة بعدها وذكر بعدها شرحا لكلمات وضعت في صدر الكتاب، وتعرض لبعض فنون البلاغة، والاستعارة، والمقابلة، والموازنة، والمساواة، ولبعض عيوب الشعر كالإقواء، والإبطاء، والتضمين.[1]

7-الاستدراك:

ذكره إسماعيل البغدادي وسماه "الاستدراكات"، وذكره بروكلمان وهو يتحدث عن المتنبي قال: «وألف ضياء الدين بن الأثير المتوفى سنة 637هـ-1239م الاستدراك في الأخذ على المعاني الكندية من المعاني الطائية وهو نقد لكتاب ألفه أبو محمد سعيد بن المبارك الدهان المتوفى سنة 569هـ-1173م في سرقات المتنبي من أبي تمام»[2]فالاستدراك صحيح النسبة إلى ضياء الدين وهو من كتب النقد المهمة، وقد جمع فيه مؤلفه بحثين:

-الأول: مؤاخذاته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبي.

-الثاني: استدراكه على ما فات ابن الدهان من مآخذ المتنبي.

بعد أن ألف ابن الأثير "الجامع الكبير" و "المثل السائر" وجال جولات رائعة في علم البيان أراد وضع كتاب يطبق فيه نظرياته وآرائه التي بثها في كتابيه السابقين، فألف "الاستدراك" الذي كان جديدا في منهجه وآرائه، وأهم ما في الكتاب مقدمته التي تكلم فيها على الشعر ونقده والمفاضلة بين الشعر والسرقات الأدبية، وموقف اللغويين والنحاة من الشعر ونقده، ونقد شرح حماسة أبي تمام، ووازن بين الأمثلة الشعرية.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات المذكورة نجد لابن الأثير مؤلفات أخرى وهي:

-كتاب الأدعية.

-رسالة الأزهار.

-الأخبار النبوية.

-الأمثال.

---

[1] ينظر، ابن خلكان، م س، ص62.

[2] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح محمود فهمي الحجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص85.

-البديع.

-تحفة العجائب وطرفة الغرائب.

-الحماسة.

-رسالة في الظاء والضاد.

-رسالة في وصف مصر.

-السرقات الشعرية.

-عمود المعاني.

-القول الفائق.

-مؤنس الوحدة.

-مجموعة شعرية.

-المعاني المخترعة.

-مقالة في الحكم بين المعنيين.

-مناظرة بين الخريف والربيع.

2-التعريف بالكتاب:

يعدّ كتاب "الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور"، لضياء الدين ابن الأثير من أهم الكتب البلاغية والنقدية لما احتواه من قضايا نقدية وبلاغية وآراء مستنيرة تعكس نهوض دولة الأدب بعد أن عاشت فترة الحروب الصليبية حيث قامت الدولة من كبوتها ، وألف جماعة من الأدباء كتبا في البلاغة والبيان.

وقد سماه الحاج خليفة الجامع الكبير في علم البيان ونسبه إلى ابن الأثير علي بن محمد صاحب "الكامل في التاريخ"، وليس الأمر كذلك فقد نبه جرجي زيدان على هذه المسألة فقال: «نسبة صاحب كشف الظنون إلى ابن الأثير صاحب الكامل خطأ.»[1]وهذه النسبة قديمة فالسبكي نسبه إلى أخي ضياء الدين، قال: «والمثل السائر للصاحب ضياء الدين نصر الله بن الأثير، والجامع الكبير لأخيه، وقال:وذكره ابن الأثير وأخوه في الجامع.»[2]

وكل هذه الإشارات لا تسلب ضياء الدين حقه في الكتاب، فإذا رجعنا إلى كتاب الجامع الكبير وجدناه قريبا في منهجه وآرائه وموضوعاته من المثل السائر، وقد قال ابن القيم الجوزية: «وكتاب المثل السائر لابن الأثير لابن الأثير وكتاب الجامع الكبير لابن الأثير أيضا»[3] وهذا تأكيد لنسبته إلى ضياء الدين ابن الأثير، يقول ابن الأثير: «فصار هذا الكتاب لغوامض علم البيان، ولما ذكره أرباب هذه الصناعة، وما لم يذكروه متضمنا فأوردت في صدره ما يجب على مؤلف الكلام علمه، وينبغي له معرفته وفهمه...ثم شرحت بعد ذلك جميع أنواع علم البيان، وشفيت القول فيها بحسب الإمكان وسميته بكتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور».[4]

يقع الكتاب في 338 صفحة، وهو مقسم إلى قطبين كل منهما يتفرع إلى أبواب وكل باب يتضمن فنونا مختلفة من الجانب البلاغي والنقدي.

جاء الكتاب عموما في : مقدمة للمؤلف، وقطبين متفرع في ثناياهما أبواب وفنون، ذكر فيها المؤلف أدوات صناعة الكلام، ونظمه من فصاحة وبلاغة ، حيث ذكر في المقدمة مكانة علم البيان ، ومن كتب فيه

[1] أحمد مطلوب، م س، ص45.
[2] المرجع نفسه، ص46.
[3] المرجع نفسه، ص48.
[4] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، مقدمة الكتاب.

ووقوفه على معظم المؤلفين الذين سبقوا عصره واستنباطه ضروبا من علم البيان في كتاب الله العزيز قدرها بمحو ثلاثين ضربا كما فصل فيها ويسر سبيلها.

جاء ابن الأثير في القطب الأول وبالتحديد في بابه الأول على قضية اللغة ووجودها بالفعل في ذهن الإنسان أو آليات صوغ ونسج الكلام بالنسبة للناظم والناثر، ودور النحو في صناعته وكذلك معرفة المتداول من اللغة والابتعاد عن الغريب ومعرفة طرق العرب وأساليبهم في الكلام وذلك من خلال الاطلاع على ما ألفوه في المنظوم والمنثور بمراعاة المقامات الكلامية التي تكلموا فيها ومن ثم الاعتناء بكتاب الله العزيز، وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل إلى ما يختص به الناظم دون الناثر من خلال معرفة الزحافات والقوافي، ثم انتقل إلى أدوات التأليف وحذر من التوعر في استعمالها، ثم قال بأن المعنى هو المحور الذي يبنى ويدور عليه اللفظ واللفظ هو زينته واختيار الألفاظ ومخاطبة الناس بحسب طبقاتهم.

ثم انتقل إلى الباب الثالث من نفس الفن والقطب، حيث وضح فيه ابن الأثير طريقة في كتابه النظم والنثر والرسائل ومعارضتها ومعارضة القصائد ، ثم تطرق بعد ذلك إلى باب آخر، وهو الحقيقة والمجاز حيث قام بتعريفهما وذكر أقسامهما، وقال بأن لكل مجاز حقيقة، وليس العكس صحيح ، ويستعان بالمجاز لتحقيق معاني الاتساع والتشبيه والتوكيد، وإذا كثر أصبح حقيقة.

ثم انتقل إلى الفن الثاني من نفس القطب الذي ذكر فيه الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم، حيث قسمه إلى ثلاثة أبواب ، وقسمها إلى أقسام، حيث تعرض في القسم الأول إلى: أوصاف اللفظة المفردة الموسومة بالحسن والجودة وما يجعلها كذلك من تباعد مخارج الحروف ووضوح أصواتها وترتيبها على حسب مخارجها، وبعد الكلمة عن التوعر والوحشي وإنكاره لذلك على الناثر أكثر من الناظم وكذلك بعدها عن الابتذال الذي يكره ذكره، ثم انتقل بعد ذلك إلى صناعة تركيب الألفاظ وحسن تأليفها وتفوق القرآن الكريم على تآليف العرب، ثم تكلم فيما بعد عن المعاني وما يبتدع فيها ويحتذى وأنها تعلو وتسقط بحسب همة القائل.

وفي القطب الثاني تطرق ابن الأثير في الفن الأول من هذا القطب إلى الفصاحة والبلاغة وصعوبة التمكن منهما ، ثم قام بذكر أصناف علم البيان ، وانقساماتها ، وابتدأ بباب الصناعة المعنوية وافتتحه بالاستعارة وقام بتعريفها وذكر مزيتها في الكلام. ثم انتقل للتشبيه وقام بتعريفه وفائدته، وذكر أضربه ، ثم طرق النوع الثالث من الصناعة المعنوية وهو شجاعة العربية ، وقد أدرج تحته ستة أقسام ابتدأها بالالتفات ، وقام بتعريفه وذكر أضربه

الثلاثة ، ثم انتقل إلى قسم ثان سماه: الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي، وقسم آخر: في عكس الظاهر وهو ما برع ابن الأثير في استخراجه ولم يسبقه في ذلك أحد، وقسم آخر رابع: في الحمل على المعنى وتكلم على دقته ووجوده في القرآن وكلام العرب، ومن أضربه: تأنيث المذكر وتذكير المؤنث وحمل الواحد على الجماعة والجماعة على الواحد.

ثم انتقل إلى القسم الخامس في التقديم والتأخير وأتى على عناصر ومندرجة تحته: كتقديم ما أولى به التقديم والعكس داخل التركيب.ثم انتقل إلى القسم السادس وهو الاعتراض وذكر فيه ما يأتي منه في معرض الكلام ويكون ذا فائدة وما هو غير ذلك.

وتطرق إلى النوع الرابع من الصناعة المعنوية وهو الإيجاز، وهو قسمان فالأول هو الإيجاز بالحذف وهو أربعة عشر ضربا فالضرب الأول تناول فيه الاكتفاء بالسبب عن المسبب والثاني تناول فيه الإضمار على شريطة التفسير، والثالث تطرق فيه إلى حذف الفعل وجوابه وإقامة المصدر مقام حذف الفعل وجوابه، والخامس ذكر فيه حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر والسادس تناول فيه حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر والسابع تناول فيه حذف الشرط وجوابه والثامن حذف القسم وجوابه والتاسع ذكر فيه حذف "لو" وجوابها والعاشر تناول فيه حذف جواب "لما" وجواب "أما" وجواب "إذا" والحادي عشر تناول فيه حذف "لا" من الكلام والثاني عشر ذكر فيه الاستئناف بإعادة الأسماء والصفات والاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات والثالث عشر تناول فيه حذف الواو وإثباتها والرابع عشر والأخير في الحذف الذي يوجب الإخلال في الكلام.

أما القسم الثاني من الإيجاز فهو الإيجاز من غير حذف وهو ضربان:

فالأول ما يساوي لفظه معناه ويسمى التقدير، والثاني فيما زاد معناه على لفظه وهو الإيجاز بالقصر.

ثم انتقل إلى النوع الخامس المسمى "الإطناب" ثم النوع السادس المسمى "في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل، ثم النوع السابع في الكناية والتعريض. ثم الثامن في استعمال العام في النفي والخاص في الإثبات، ثم النوع التاسع في التفسير بعد الإبهام ثم النوع العاشر في التعقيب المصدري ثم النوع الحادي عشر في "التقديم والتأخير" بما لا يتعلق بعلم النحو ثم النوع الثاني عشر في "عطف المظهر على ضمير هو الإفصاح به بعده" ثم النوع الثالث عشر في "التخلص والاقتضاب". ثم النوع الرابع عشر في "المبادئ والافتتاحات" ثم النوع الخامس عشر في "قوة اللفظ لقوة

المعنى" ثم "النوع السادس عشر في خذلان المخاطب، ثم النوع السابع عشر في "الاشتقاق"، ثم النوع الثامن عشر في "الحروف العاطفة والجارة"، ثم النوع التاسع عشر في "التكرير"، ثم النوع العشرون في "تناسب المعاني من المقابلة والتقسيم والتفسير"، ثم النوع الحادي والعشرون في "الخطاب بالجملة الفعلية والخطاب بالجملة الاسمية"، ثم النوع الثاني والعشرون في "لام التأكيد"، ثم النوع الثالث والعشرون في "الاقتضاء والإفراط والتفريط"، ثم الرابع والعشرون في "المعاظلة"، ثم النوع الخامس والعشرون في "التضمين "، ثم النوع السادس والعشرون في "الاستدراج"، ثم النوع السابع والعشرون في "الإرصاد"، ثم الثامن والعشرون في "التوشيح"، ثم النوع التاسع والعشرون في "الأخذ والسرقة".

وقد تناول "الصناعة اللفظية" في الباب الثاني من القطب الثاني وقد جعله في ستة أنواع، النوع الأول في السجع والازدواج، والنوع الثاني في التجنيس، والنوع الثالث في الترصيع، والنوع الرابع في لزوم ما لا يلزم، والنوع الخامس في الموازنة، والنوع السادس في اختلاف صيغ الألفاظ.

الفصل الأول: أفعال الكلام في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول :نظرية الأفعال الكلامية

المبحث الثاني: أفعال الكلام عند ابن الأثير

تمهيد:

تعدّ نظرية الأفعال الكلامية من المفاهيم الأساسية في النظرية التداولية ، وهي في نظر كثير من الباحثين جزء من اللسانيات التداولية. جاءت هذه النظرية للفيلسوف الإنجليزى جون أوستن لتجسد موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعى الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة من سياق خطابها اللغوى المؤسساتى إضافة إلى ما وصفه أوستن بالاستحواذ أو التسلط المنطقى القائل بأن الجملة الخبرية هى الجملة المعيارية، وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هى مجرد أشكال متفرعة عنها[1].

لقد بدأت مسيرة أفعال الكلام بالثورة على مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة ، والذي أقصى كثيرا من العبارات المستخدمة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق والكذب،و في هذا الصدد بدأ أوستين عمله بالكشف عن التعارض بين نوعين من المنطوقات ،هي المنطوقات ونوع آخر يتشابه مع constative) (utterencesالتقريرية الوصفية النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية غير أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع (...)ويسمى أوستين هذا النوع بالمنطوقات الأدائية(performative utterences)" .[2] وإذا كانت المنطوقات الأولى تجرى عليها قوانين الصدق والكذب ، من مثل قولنا: الجو جميل، فإن النوع الثاني من الملفوظات لا تحكمه هذه ،ويحتاج في مقابل ذلك إلى القوانين ، وذلك من مثل قولنا: افتتح الجلسة، جملة من الشروط تضمن نجاحه.[3] " إن انتاج هذه الملفوظات يتيح للمتكلم أو الكاتب إنجاز عمل أكثر من التلفظ بقول فقط.[4]

وتأتي أهمية هذه النظرية في كونها غيّرت النظرية التقليدية للكلام التي كانت تنحاز بشدّة للاستعمال المعرفي والوصفي له، ونظرت إلى اللغة في بعدها الدينامي، أي باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤثرة فيه وهي بذلك ألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل حيث أنّ أيّ معلومة تقدم لشخص ما هي إلا إشارة بواسطة شيء ما وتسعى إلى تحقيق هدف ما» .[5]

---

[1] http://www.ta5atub.com/t1371-topic25/07/2015

[2] صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط1،لبنان. بيروت، 1993م ص 137،138.

[3] Geoffrey leech, principales of pragmatics, longman published, 9th , 1996 p: 179

[4] John lyons an introduction combridge university press, linguistic semantics, 2nd published 1996.p:238

[5] نصيرة غماري، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006م، ص80..

المبحث الأول :نظرية الأفعال الكلامية

- **مفهوم الفعل الكلامي:**

إنّ الفعل الكلامي (speech acts) هو كلّ فعل كلامي ينهض على نظام شكليٍّ ودلاليٍّ ويقصد به « الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه(أمر، طلب، تصريح، وعد...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إنّ المتلفظ المشارك coénonciateur لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ.» [1]

تولَّد الاهتمام بالأعمال اللغوية في الفترة المعاصرة مع أوستين كما برزت التداولية بالصورة التي نعرفها اليوم انطلاقا من اكتشافه للظاهرة ومن الدراسة التي قام بها (سيرل) .[2]

يعد أوستين مؤسس نظرية أفعال الكلام وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها في جامعة أكسفورد في العقد الثالث من القرن العشرين ثم المحاضرات التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه: how to do things with words متأثرا في ذلك بما نبّه إليه فتغنشتاين wittegenestein من أنّ اللغة قد تُستخدم لوصف العالم من حولنا، بيد أن هناك حشدا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع كالأمر مثلا، وقدم ثبتا طويلا بهذه الاستعمالات المختلفة للغة وأطلق عليها ألعاب اللغة (language games)، فسمى كل استعمال منها لعبة لأنّ له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللّاعبون على قواعد اللعبة، وتتميز كل لعبة لغوية بنوع مخصوص من السياق الاجتماعي، كما تتميز كل منها باستخداماتها يستحق اهتماما مساويا لأي استخدام آخر.[3]

[1] دومينيك مانغو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ،الجزائر، ط1، 2008م، ص7.

[2] ينظر، آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية،تر مجموعة من الأساتذة، دار سيناترا، دط، تونس، 2010م، ص56.

[3] ينظر، محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002م ص61.

يرى أوستين أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، بل هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال إلى أعمال ذات صبغة اجتماعية فعندما يقول القاضي: (فُتحتِ الجلسة) يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا، وهو فتح الجلسة.[1]

وقد ميّز أوستين بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية (constative) تخبر عن وقائع العالم الخارجي وتكون إما صادقة وإمّا كاذبة، وقد آثر أن يعدل عن تسميتها أفعالا وصفية (description) لأنه ليس كل ما يقبل الصدق والكذب وصفيا، وأخرى تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدى، وقد أطلق عليها مصطلح الأدائية (performative).

إن الفعل الكلامي لا يتكون إلا بشروط معينة، هذه الشروط يجب أن يعرفها المشاركون في الاتصال ويُسلِّموا بها، وبذلك يوفق الاتصال، وهكذا يبدو الاتصال الإنساني لا تحكمه شفرة بنظام العلامات فحسب، بل بالاستناد إلى سياق التوارد أيضا.[2]

- **شروط الملاءمة عند أوستين:**

أطلق أوستين على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية الصريحة شروط الملائمة (felicity condition) وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية كل نمط منها يحتوي على شرطين ،فهي إذن ستة شروط وهي:

أ-1: «وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد كالزواج مثلا، وأن يشتمل هذا الإجراء على كلمات محددة ينطق بها أشخاص محددون في ظروف محددة، فإن لم يوجد إجراء عرفي مقبول ذو أثر معلوم كالزواج في الأفلام أو التمثيليات، أو إذا لم تنطق الكلمات على النحو الصحيح المفهوم الي ينعقد به الإجراء، أو إذا كان الشخص الذي يتولى الإجراء فاقد الأهلية للقيام به، أو إذا كانت الظروف غير ملائمة، فإن الفعل لا يؤدّى.» [3]

أ.**2**: ينبغي أن يكون أولئك الأشخاص مناسبين ، وأن تكون الظروف مناسبة.

---

[1] ينظر، عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي نموذجا)، ص150.

[2] ينظر، كلماير، أساسيات علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ط1،القاهرة مصر، 2009م ،ص48.

[3] محمود أحمد نحلة،م س ،ص64.

ب.1: ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً صحيحا، وذلك بتجنب العبارات الغامضة كقول البائع لرجل جاء ليشتري منزلا محددا منه، أبيعك منزلا بمليون، أو أبيعك أحدها بمليون.

ب.2: ينبغي أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً كاملا، فإذا قال رجل لآخر: أبيعك منزلي بمليون، ولم يقل الرجل: قبِلتُ، كان الأداء ناقصا .

ج.1: ينبغي أن يتمتع الأشخاص بالإخلاص وصدق المشاعر ، فإذا قلت لشخص أهنئك بهذه المناسبة السعيدة، وأنت في قرارة نفسك لا تشعر بذلك، بل بنقيضه، أو إذا قلت لشخص: أعدك أن أساعدك وأنت لا تنوي أن تساعده، وإذا قلت لرجل أنصحك بكذا وأنت تقصد تضليله فقد أسأت أداء الفعل.

ج.2: ينبغي على المشارك في الإجراء أن يتحلى بالسلوك ويجسده، فإذا قلت لشخص: أرحب بك ثم سلكت سلوك غير المرحب ،فقد أسأت أداء الفعل.[1]

وقد أطلق أوستين على الأفعال التي خالفت الشروط الأربعة مصطلح الإخفاقات (misfires) وعلى ما خالف شرطا من الشرطين الأخيرين مصطلح الإساءة (abuses).

- **التمييز بين الأفعال عند أوستين:**

حاول أوستين التمييز بين الأفعال بوسائل لغوية حيث لاحظ أن الجملة الانجليزية تقسم بحسب الصيغة إلى جملة خبرية (déclarative) و أمرية (impérative) واستفهامية (interrogative).[2]

وقام أوستين بتقسيم الجملة الخبرية نفسها إلى وصفية (constative) وإنشائية (performative) بانيا هذا التقسيم على أساس أنّ ما وضعه تحت الإنشائيات هو:

أ. جمل تقال لا لوصف أو سرد أو تصوير أي شيء فهي ليست صادقة أو كاذبة.

[1] ينظر، المرجع السابق، ص64-65.

[2] Voir **A**ustin (john langshaw),How to o things with words ,2nd, Oxford University ,Press, 1975.P16.

ب. تلفظ هذه الجمل هو، أو هو جزء من القيام بفعل لا يوصف عادة بأنه قول شيء أو مجرد قول شيء، ومن هذه الأمثلة هذه الجمل :(أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية).[1]

ومن هنا يبدو أن تلفظ الجملة ليس وصفا وليس إخبارا بل هو عين القيام بهذا الفعل، وفي إطار سعي أوستن إلى التمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية حيث حاول أن يتلمس وسائل لغوية تميز الأفعال الأدائية "فلاحظ أنّ هذه الأفعال في اللغة الانجليزية يستخدم معها غالبا ضمير المتكلم مسندا إليه " والفعل في صيغة المضارع المبني للمعلوم، وتكون موجهة إلى مخاطب، ومن ثم يرى أنك إذا قلت: أعدك بكذا كان فعلا أدائيا لكنك إذا قلت: وعدتك بكذا، أو أعده بكذا لم يكن أدائيا، وذلك لأنها تدل على الخبرية.[2]

وقد بين أوستين إلى أنّ الفعل قد يؤدى أحيانا بصيغة المبني لغير الفاعل، أو بصيغة اسم المفعول، وتوصل إلى أنّ الأفعال الأدائية نوعان: أدائية صريحة (explicit) و أدائيات أولية (praimary) و مثال ذلك:

-أعدك أن أكون هناك.

-سأكون هناك.

فالمثال الأول صريح الدلالة على الوعد، وفي المثال الثاني قد يكون وعدا وقد لا يكون، ذلك أنّ الوعد يقال في سياق يعتقد فيه الواعد أنّ المخاطب يتطلع إلى هذا الوعد، فإذا سألك شخص عن المدعوين ثم الحفل، ولم يكن هو من المدعوين ، فتقول له أسماء المدعوين ثم تقول:" سأكون هناك" فهذا القول ليس وعدا لأن المخاطب ليس في حاجة إليه، أما إذا كان المخاطب مدعوا للحفل وقال لك: والله لا أذهب إلى الحفل حتى تذهب أنت، فقلت" سأكون هناك" كان قولك وعدا، ولهذا فإن الأدائيات ضمنية تعتمد على المقام على عكس الإنجازيات الصريحة، ومن ثم كان إدراكها أيسر.[3]

[1] ينظر،طالب سيد أحمد الطبطبائي،نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت،دط، 1994،ص4-5.

[2] Voir **A**ustin ,p55.

[3] ينظر، محمود أحمد نحلة، م س ،ص66.67.

وبرغم ما بذله أوستين في التمييز بين الأفعال الأدائية والإخبارية إلا أنه ظل يرجع النظر في هذا التقسيم حتى يتبين له في النهاية أن الحدود بين هذين النوعين لا تزال غير واضحة ،فعاد من حيث بدأ إلى السؤال : كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟ فرأى الفعل الكلامي مركبا من ثلاثة أفعال تؤدى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، فهي ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدا وراء الآخر بل هي جوانب لفعل واحد.[1]

لقد قسم أوستين الفعل الكلامي الكامل(acte de discours intégral) إلى ثلاث أنواع من الأفعال وهي:

1.فعل القول:acte locutoire

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ، ذات بناء نحوي سليم،مع تحديد ما لها من معنى، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول إلا أنه يبقى غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول، فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن نفهم معناه كاملا ومع ذلك لا ندري إن كان هذا القول إخبار بأنها ستمطر، أو هو تحذير من عواقب الخروج ، أو هو أمر بحمل المظلة أو غير ذلك.[2]

2.فعل متضمن في القول:acte illocutoire

وهو فعل الكلام الغرضي والإنجازي، فهو عمل ينجز بقول ما، وهذا هو المقصود من نظرية الأعمال الكلامية برمّتها، حيث لاحظ أوستين أن هناك قوة غرضية (force illocutoire) في فعل التلفظ تصاحب المعنى الصريح والحرفي الذي يتيحه هذا الفعل، فنحن أثناء إنجاز فعل الكلام التلفظي نقوم في ذات الوقت بإنجاز تلفظات تعطي بعدا دلاليا أساسيا لهذا الفعل، ومن أمثلة ذلك: السؤال أو إجابة السؤال، التحذير، الشهادة، الأمر...إلخ.

3.الفعل الناتج عن القول(acte perlocutoire):

[1]Voir **A**ustin ,p95..

[2] بنظر، الطبطبائي، م س ،ص8.

ويسمى بالفعل التأثيري ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع ، فمثلا إذا دخل عليك شخصا وقال لك :"خلف هذا الباب أفعى "ففعل القول هو الهيئة التركيبية لهذه الجملة بأصواتها التي نطقت وبتركيبها النحوي الصحيح وبمعناها الحرفي الذي يقرر أن خلف الباب أفعى ،أما الفعل الإنجازي هو التحذير من الأفعى، والفعل التأثيري هو ما يخلفه هذا القول من أثر فيك، قد يكون الفزع أو الهروب أو الإسراع لقتلها...إلخ[1]

- **تقسيم أوستين للأفعال الكلامية:**

قسَّم أوستين أفعال الكلام من حيث معناها إلى مجموعات وظيفية لأنها كثيرة ويستحيل حصرها، ثم إحصائها العددي لن يفيد شيئا في فهم وظائفها في الحديث.[2]

وقد اتَّبع أوستين في تقسيمه المنهج التالي:" أخذ ألفاظ الأفعال ذات صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد والرجوع إلى القاموس لفهم ما يراد منها بحسب القاعدة : أن يقال كذا يعني أن يفعل كذا.[3]

وقد توصل إلى التقسيم التالي:

1.الحكميات (الأفعال الدالة على الحكم): و هي الأفعال التي تبث في القضايا بالاعتماد على سلطة معترف بها رسميا ،أو سلطة أخلاقية، وتشمل أفعال التبرئة، الحكم، التقدير، التحليل... وقد شبه أوستين فعل الحكم بالفعل القانوني المختلف عن الفعل التشريعي والتنفيذي الذي يدخل ضمن مجموعة أفعال الممارسة.[4]

2.الإنفاذيات (أفعال القرارات): وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.

3.الوعديات (أفعال الوعد): وتتمثل في الأفعال الكلامية التي تؤسس لدى المتكلم القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب في المثال ذلك: القسم، الرهان، التعهد...

[1] ينظر، محمود أحمد نحلة، م س ،ص28.

[2] ينظر، عمر بلخير، م س، ص153.

[3] ينظر، محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية، جامعة باتنة، 2014م، ص43,

[4] ينظر، عمر بلخير، م س ،ص153.

4.السلوكيات (أفعال السلوك): ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم وهي تحمل المتكلم على اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول مثال ذلك: الاعتذار، التهنئة ، الشكر...

5.أفعال الإيضاح: « وهي الأفعال التي تستخدم لتوضيح وجهة نظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل :الإثبات و الإنكار، والمطابقة، والملاحظة والتنويه، والإجابة ، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك والموافقة، والتصويب.» [1]

لم يستطع أوستين أن يضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية إذ أن تصوره لم يكن قائما على أسس منهجية واضحة حيث خلط بين مفهوم الفعل قسما من أقسام الكلام والفعل حدثا اتصاليا، ولم يقم تحديده للأفعال وتصنيفه لها على أساس راسخ فتداخلت فئاتها ودخل في بعض الفئات ما ليس منها، لكنه برغم لك وضع مفاهيم أساسية في هذه النظرية أهمها: التمييز بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء الفعل وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما قد يعنيه المتكلم بنطقها، وتمييزه بين الصريح من الأفعال الأدائية والأولي منها.[2]

ثم جاء سيرل ليتابع مشروع أستاذه أوستين، حيث ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية.

- **مساهمة سيرل:**

تعتبر مساهمة سيرل في هذه النظرية محاولة ساهمت في وضع حدود واضحة من خلال ما قدمه من مناقشات في فلسفة اللغة، واستفاد من نتائج المنطق الحديث وعدّ الغرض المتضمن في القول(But illocutoire) مكونا أساسيا من مكونات القوة المتضمنة في القول (force illocutoire).[3]

تتمثل جهود سيرل في:

أولا: تعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام، و أبقى منها على قسمين الإنجازي و التأثيري، لكنه جعل اللفظي قسمين:

[1] محمود أحمد نحلة، م س،ص70.
[2] ينظر ،المرجع نفسه، ص70.71.
[3] ينظر، الطبطبائي، م س ،ص13.

أحدهما: الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.[1] والثاني: الفعل القضوي: «وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع référence والمتحدث به أو الخبر prédication ونص على أنّ الفعل القضوي لا يقع وحده بل يستخدم دائما مع الفعل الإنجازي، كما نصَّ على أنَّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى minimal unit للاصال اللغوي» .[2]

ولإيضاح ذلك نأخذ الأمثلة الآتية:

1.يقرأ زيد الكتاب. 2.أيقرأ زيد الكتاب؟

3.يا زيد اقرأ الكتاب. 4.لو يقرأ زيد الكتاب!

عند النطق بأي من هذه الجمل ينجز المتكلم ثلاثة أنواع من الأفعال في وقت واحد:

1) الفعل النطقي: و يتمثل في نطقك الصوتي للألفاظ على نسق نحوي ومعجمي صحيح.

2) الفعل القضوي: و يتمثل في مرجع وهو محور الحديث فيها جميعا، هو زيد في الجمل الأربع، وخبر هو فيها جميعا قراءة الكتاب، والمرجع والخبر يمثلان معا قضية (proposition) هي: قراءة زيد الكتاب.

والقضية هي المحتوى المشترك (Common content) بينها جميعا.

3)الفعل الإنجازي: و هو الإخبار في الأول، والاستفهام في الثانية، والأمر الثالثة ،والتمني في الرابعة.

وينبغي الإشارة إلى أن الفعل التأثيري ليس له أهمية كبيرة عن سيرل ويدل على القوة الإنجازي دليل يسمى دليل القوة الإنجازية (illocutionary force indiactor) يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في الانجليزية في: النبر، والتنغيم، وفي علامات الترقيم في اللغة المكتوبة، صيغة الفعل، وما يسمى الأفعال الأدائية.[3]

[1] ينظر، محمود أحمد نحلة ،م س ، ص71،72.

[2].المرجع نفسه، ص72.

[3] ينظر، محمود أحمد نحلة، م س ،ص72,73.

ثانيا: يرى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، فهو مرتبط بالغرف اللغوي والاجتماعي وعليه فإن قصد المتكلم وحده لا يكفي، إذ لا بد من العرف اللغوي.

ثالثا: « استطاع سيرل أن يطوِّر تصور أوستين لشروط الملائمة أو الاستخدام (felicity condition) التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا، فجعلها أربعة شروط، وطبقها تطبيقا محكما على أنماط من الأفعال الإنجازية، فطبقها على أفعال الرجاء، والإخبار، والاستفهام، والشكر، والنصح، والتحذير، والتحية، والتهنئة، وبين ما قد يحتاجه كل منها إلى بعض شروط إضافية، وما يستغني منها عن بعض الشروط، ونكتفي بذكر هذه الشروط مطبقة على فعل الرجاء.» [1]

1.**شرط المحتوى القضوي(propositional content)**:

فعل في المستقبل مطلوب في المخاطب.

2.**الشرط التمهيدي(PREPARATORY)** :

المخاطب قادر على إنجاز الفعل، والمتكلم متيقن من قدرة المخاطب على انجاز الفعل وليس من الواضح لدى المتكلم والمخاطب أنه المخاطب سينجز الفعل المطلوب في المجرى المعتاد للأحداث.

3.شرط الإخلاص: المتكلم يريد حقا من المخاطب أن ينجز هذا الفعل.

4.الشرط الأساسي: محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل.[2]

ولم يكتف سيرل بذلك بل قال إن هناك على الأقل اثنتا عشر بعدا يختلف بها كل فعل أنجازي عن الآخر، نوجزها فيما يلي:

-الاختلاف في الغرض الإنجازي للفعل: فكلّ صنف من المتضمن في القول له غرض ذاتي لكونه فعلا من ذلك الصنف، فالوعد غرضه إلزام المتكلم نفسه بعمل شيء محدد.[3]والغرض الإنجازي للأمر هو التأثير في السامع لكي

[1] المرجع السابق ،74.
[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص75.
[3] ينظر، الطبطبائي، م س، ص17.

يقوم بفعل ما.[1]على أنّ الغرض الإنجازي المتضمن في القول يعد جزءًا من القوة الإنجازية، فالغرض الإنجازي من الرجاء مثلا هو نفسه الغرض الإنجازي من الأمر، لكن القوة الإنجازية في كل منهما تختلف، وعليه فإنّ القوة الإنجازية نتاج عناصر عديدة وليس الغرض الإنجازي إلّا واحدا منهما.[2]

-الاختلاف في اتجاه المطابقة: فاتجاه المطابقة في بعض الأفعال الإنجازية من الكلمات إلى العالم كالإخباريات وهو في بعضها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرجاء.

-الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم، فالذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصدية الإنجاز، والذي يأمر يعبر عن رغبة في أن ينجز السامع الفعل، والذي يعتذر يعبر عن الندم.

-الاختلاف في القوة التي يعرض بها الغرض الإنجازي بدرجات متفاوتة، فالمتكلم الذي يقدم عن طلب يعبر عن رغبته بقيام المستمع بالفعل المطلوب لكنه إذا توسل أو استجدى أو تضرع فإنه يعبر عن رغبة أقوى من التي يعبر عنها بالطلب المجرد.

5الاختلاف في منزلة كل من المتكلم والسامع فطلب الضابط من الجندي أن يفعل شيئا يعد أمرا، أما طلب الجندي من الضابط يعد اقتراحا ورجاء.

-الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلم والسامع كالاختلاف بين المدح والرثاء، والتهنئة والتعزية.

-الاختلاف في العلاقة بسائر عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه كقولك: أجيب ،أو أستدل، أو أستنتج، أو أعترض على... يربط الأقوال التالية وبالسياق الملابس لها.[3]

-الاختلاف في المحتوى القضوي الذي تحدده القوة الإجبارية، والوسائل الدّالة كالاختلاف بين الأخبار والتوقع.

-الاختلاف في أن يكون القول دائما فعلا كلاميا و أن يمكن أن يكون فعلا كلاميا.

-الاختلاف في أن يقتضي أداء الفعل عرفا غير لغوي أولا يقتضي كالزواج وإعلان الحرب.

---

[1] ينظر، عبد الهادي بن ظافر، م س ، ص157.

[2] ينظر، محمود أحمد نحلة ،م س،ص75.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص75-76.

-الاختلاف في أن تكون الأفعال قابلة للأداء، أو لا تكون، فمعظم الأفعال الإنجازية قابلة للأداء مثل: أقرر، أعد، آمر، أستنتج، لكن ثمة أفعال لا تؤدى بالقول فقط، فلا تستطيع أن تفزع شخصا، بقولك: أنا أفزعك. فليس كل الأفعال الإنجازية أفعالا أدائية.

12.الاختلاف في أسلوب أداء الفعل كالاختلاف بين الإعلان والإسرار.

رابعا: أعاد سيرل في تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية وقد أقام تقسيمه على أسس منجية و هي:

أ. الغرض الإنجازية.

ب. اتجاه المطابقة.

ج. شرط الإخلاص.

وقد قسمها إلى خمسة أقسام هي:

1) الإخباريات: التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث تتحقق مطابقة الكلمات مع الواقع، وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة ، ومثال ذلك: "سيأتي غدا".

2) الطلبيات: أو الأوامر والهدف منها جعل المخاطب بقوم بأمر ما، حيث تكون الحالة النفسية رغبة، مثال ذلك: أخرُج.

3) الوعديّات: والهدف منها جعل المتكلم ملتزما بانجاز عمل ، بحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، مثال ذلك: سوف آتي.

4) التعبيريات أو الإفصاحيات: والهدف منها التعبير عن حالة النفسية بشرط أن تكون ثمة نية صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يسند المحتوى خاصية إمّا إلى المتكلم أو إلى المخاطب ، ومثال ذلك: أُعذرني.

5) التصريحات: والهدف منها إحداث واقعة، حيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشر دون تطابق، مع تحفُّظ المشروعية المؤسسية مثال ذلك: أعلن الحربَ عليكم.[1]

خامسا: ميّز سيرل الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، ويرى أنّ الأفعال الإنجازية المباشرة تطابق قوتها الإنجازية مُرادَ المتكلم و يتحقق هذا في المستويين المعجمي التركيبي، أمّا الأفعال غير المباشرة فهي التي لا تطبق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فلو قلت لصاحبك و أنتما جالسان إلى المائدة: هل تناوليني الملح؟ فإن هذا فعل غير مباشر إذ معناه الحرفي هو الاستفهام، ولكن الاستفهام ليس هو المراد بل المطلوب أن يناولك الملح، إضافة إلى التنغيم يختلف باختلاف القوة الإنجازية حرفية وغير حرفية.[2]

كما أن القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلّا عبر عمليات ذهنية استدلالية من حيث البساطة والتعقيد، أمّا القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه.[3]

لقد ناقش سيرل عددًا من الأفعال الإنجازية غير المباشرة وبخاصة تلك التي تكون استفهاما مقصود به الطلب الذي يكون نتيجة للتأدب في الحديث، واختار التوجيهات غير المباشرة ليقسمها إلى مجموعات بحسب قدرة السامع على أداء الفعل ورغبته فيه، والبواعث إليه، ورغبة المتكلم أن يؤدي السامع فعلا ما وناقش عددا من ضوابط استخدامها ووضع عددا من التصميمات التي تفسر غالب استعمالاتها وتحصر الاستثناء منها، وكان سيرل قد قرر أن المتكلم لا يقصد ما يقول فحسب بل يتعدى قصده ما قاله إلى ما هو أكثر منه، والمشكلة في هذا النوع من الأفعال هو كيف يقول المتكلم شيئا، ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يمكن أن يسمع المخاطب شيئا له معنى ويفهم معنى آخر؟ وقد حاول سيرل أن يحل هذا الإشكال بمبدأ التعاون الحواري (conversationnel coopération) بين المتكلم والسامع، وما عند المخاطب من علم بجوانب الموضوع، وما سماه بـ استراتيجية الاستنتاج.

---

[1] ينظر، فيليب بلا نشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية سوريا، 2007م، ص5.

[2] ينظر، محمود أحمد نحلة، م س ،ص81.

[3] ينظر، أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، سلسلة بحوث ودراسات5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط المغرب،1993م ص22.

ويمكن أن ينجز المرسل الفعل الكلامي دون أن يصرح بإنجازه، فالمرسل يستعمل خطابات لا تتضمن الفعل الإنجازي نصا أكثر من الخطابات التي تتضمنه، وذلك عائد إلى تقارب طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة بينهما.[1]

وقد لاحظ بعض الباحثين أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة، فالأفعال الإنجازية المباشرة، فالأفعال الإنجازية التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة وتقتصر في الغالب على الأفعال المؤسساتية أو التشريعية كالتوكيل والتفويض والوصية والتوريث والإجارة ونحوها لأن الأفعال الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة فتؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق.[2]

وقد لفت سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بما يسمى (الاستلزام الحواري conversationnel implicateur) ويتضح ها النوع من الأفعال من المحاورة الآتية بين طالب وصديقه.

أ. ألا تزورني الليلة؟

ب. سأُمتَحنُ صباح غد.

فالفعل الإنجازي (سَأُمتَحنُ صباح الغد) ليس جوابا مباشرا عن الطلب لكن فهم منه أمران الأول مباشر هو الإخبار، والثاني غير مباشر وهو الاعتذار.

والفعل الإنجازي غير المباشر محول عن الفعل الإنجازي المباشر ومن ثم فإنّ الفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن الفعل الإنجازي المباشر ولا ينعكس.[3]

ومن هنا يبدو أنّ ما طرحه أوستين بخصوص الأفعال الكلامية فتح نقاش واسعا، فانخرطت فيه جموع الباحثين أمثال سيرل، وغرايس، وفان إيمرن، وغيرهم، فتعمقت نظرية أوستين وتناولت عدة قضايا مرتبطة بتداوليات أفعال الكلام.

---

[1] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص36.

[2] ينظر محمود نحلة، م س ،ص83،84.

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص84.

ويمكن القول أنّ ما عرضه سيرل في أفعال الكلام هو عرض نموذجي للنظرية، حيث بيّن القيمة الفلسفية والتداولية للنظرية، وسعى إلى تحليل المكونات والأسس التصنيفية لعناصر القوى المتضمنة في القول.[1]

وبهذا فإن نظرية الأفعال الكلامية ظهرت مع أوستين الذي أنشأ فلسفة عامة للغة، وتطورت هذه النظرية مع سيرل وإن كان بعض الباحثين يرى أن أصول هذه النظرية موجودة في تقسيمات العرب للكلام إلى خبر وإنشاء.

تتجلى ظاهرة الأفعال الكلامية في الموروث العربي وبخاصة في التراث البلاغي من خلال علم المباحث الذي يعرف بأنه «قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الحال مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له».وقد توسع علماء العرب في بحث الظاهرة وتعمقوا في تحليل مفاهيمها وتطوير أسس التمييز بين الخبر والإنشاء وإيراد إشكالات عليها، والإجابة على تلك الإشكالات.[2]

إن ظاهرة الأفعال الكلامية في الفكر المعاصر تندرج ضمن ظاهرة "الخبر والانشاء" وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، «ولهذا تعتبر نظرية الخبر والإنشاء مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين."[3] وقد تعددت التمييزيات بين الخبر والإنشاء، يقول القزويني: "ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء لأنه إما أن يكون له خارج يطابقه أو لا يطابقه، او لا يكون له خارج، الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء.» [4]

ولعل أشهر تمييز عندهم بين الخبر والإنشاء هو التمييز بحسب المعنى «فالخبر ما كان يقبل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه.» [5] يلاحظ أن هذا التمييز لم يرتبط بالصيغة التركيبية للجملة المفيدة بحيث تكون الصيغة بذاتها تكشف عن كون المعنى خبريا أو إنشائيا. مثال: "طلقت زوجتي" تكون للخبر في حال الاخبار عن

[1] ينظر، حكيمة بوقرومة، نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل ودورها في البحث التداولي، مقالة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص14.

[2] ينظر، أحمد مصطفى مراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الآفاق العربية، القاهرة مصر، ط1، 2002م، ص44.

[3] ينظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب(دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت لبنان، 2005م، ص48

[4] المرجع نفسه، ص49.

[5] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية،ط3،ص15.

وقوع فعل الطلاق ومن ثم قبول الصدق والكذب وتكون للإنشاء في حال إيقاع فعل الطلاق ومن ثم عدم قبول الصدق والكذب،"[1] فالخبر إذن ما كان له واقع يطابقه أولا يطابقه، والإنشاء ليس له واقع يطابقه أو لا يطابقه.

ولعنا نلحظ أن ما ذكروه من تحديد للخبر ملتبس وغير دقيق إذ أن تحديده بالصدق والكذب غير مستقيم فالأخبار المستقبلة كلها ليس لها واقع تطابقه أو لا تطابقه، كالأخبار التي تحمل حكما شرعيا مثل: (يعيد صلاته) في جواب من سأل عمن صلى بغير وضوء، والأخبار التي تحمل معنى الطلب مثل: آمرك بكذا، فهي عندهم من الخبر لا من الإنشاء وليس لها واقع تطابقه.[2]

ومما لاشك فيه أن كثير من الأخبار لا تقبل الكذب كالأخبار الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة،

والمسلمات، والحقائق، كقولك: الشمس تطلع من المشرق، وهذا الأمر لم يغب على علمائنا، حيث قسم الإمام الغزالي الخبر إلى ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: ما يجب تصديقه كالأخبار المتواترة، وما أخبر الله عنه، وما أخب الرسول بهن وما أجمعت عليه الأمة.

-القسم الثاني: ما يعلم كذبه ومنه ما علم خلافه بضرورة العقل، أو النظر، أو الحس، أو المشاهدة، أو أخبار التواتر.

-القسم الثالث: «ما لم يعلم صدقه ولا كذبه، فيجب التوقف فيه.» [3] أما تحديدهم للإنشاء وإن كان أحسن حالا إلا أنه لم يسلم من مأخذ عليه، فنجد إدخال الطلب في الإنشاء، والطلب عندهم هو: «إيقاع فعل بلفظ يقارنه في الوجود، فقولك: يضرب زيد عمرا، تسقط الحدود بين الخبر والإنشاء.» [4]

[1] ينظر، الطبطبائي، م س، ص47.
[2] المرجع نفسه ،ص47.
[3] محمود نحلة، م س، ص94-95.

[4] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، ج2، ص162.

من هنا نخلص إلى اختلاف العلماء في التمييز بين هذين النوعين من الكلام، وعليه فإنهم تصوروا الخبر هو الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلي الذي يقبل الصدق والكذب والإنشاء كلام تام مفيد أو خطاب تواصل لكنه لا يقبل صدقا ولا كذبا.[1]

يمكن القول إن منطلق التفكير عند أوستين وعند علمائنا واحد، إذ لم يقصروا الكلام-كما فعل فلاسفة الوضعية المنطقية-على ما له واقع إذا طابقه كان صادقا وإذا لم يطابقه كان كاذبا بل تجاوزوا ذلك فبينوا أن من الكلام ما لا واقع له يطبقه أو لا يطابقه، ولا يوصف بصدق أو كذب، ووصلوا إلى أن الكلام ما يكون فعلا أو إيقاعا لفعل بلفظ يقارنه في الوجود، وهو ما عده فلاسفة اللغة الغربيون إنجازا كبيرا.[2]

ومن هنا يمكن تقسيم الفعال الكلامية في اللغة العربية بالاستفادة من تقسيم أوستين وسيرل .

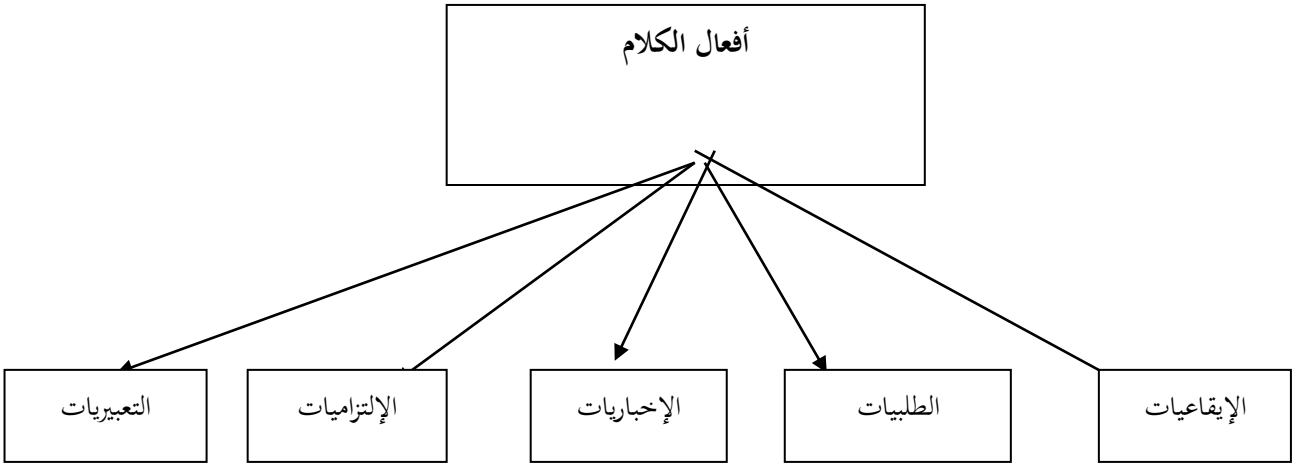

1- الإيقاعيات: وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنا للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلا، وتشمل ألفظ البيع والشراء والهبة والوصية والوقف...وقد وضع الفقهاء شروطا لصحة هذه الأفعال لا تكاد تختلف عن الشروط التي وضعها أوستين وسيرل وأهمها أن يكون الكلام واضح الدلالة على المراد وان يكون متبعا أعراف أهل اللغة وأن يعلم كل من المخاطب والمتكلم ما صدر عن الآخر ويوافق عليه، وأن يكون إيقاع الفعل كاملا.

[1] ينظر، محمود نحلة، م س، ص96-97.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص98-103.

2- الطلبيات: تضم كل الأفعال الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها وهذا الأمر أخذ به الأصوليون والفقهاء والمتكلمون كقولك: أمرتك، وأوجبت عليك،...ويدخل في النوع من الطلب: النهي الذي يجري على ما قرره للأمر، والاستفهام،، والغرض الإنجازي، من الطلبيات هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء.[1]

3- الإخباريات: وتدخل فيها الأفعال التي تصف وقائع وأحداث في العالم الخارجي، والغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو نقل الوقائع نقلا أمينا، فإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تاما وإلا أصبحت أخبارا معيبة.

4- الالتزاميات: وهي أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الالتزام طوعا بفعل شيئا للمستقبل بحيث يكون المتكلم مخلصا في كلامه، وتدخل في هذه الأفعال أفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والضمان والإنذار.

5- التعبيريات: وهي أفعال كلامية يعبر بها المتكلم عن مشاعره ويدخل فيها أفعال الشكر، والاعتذار، والتهنئة، والمواساة، وإظهار الندم،...[2]

من هنا يمكن القول أن هذه التقسيمات للأفعال الكلامية في العربية تطابق ما قدمه سيرل فما أطلق عليه سيرل الإعلانيات في الفكر العربي، والايقاعيات، وما سماه التوجيهات أُطلق عليه في الموروث العربي الطلبيات.

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 103-104.

[2] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: أفعال الكلام عند ابن الأثير

الإخباريات (التقريريات):

وهو الفعل الكلامي التقريري ، الذي يخبر عن مواقف وأحداث تاريخية، ويبرز حقائق واقعية، وتشمل كلّ أفعال الإيضاح عند أوستين.

لقد ورد استعمال "التقريريات" بكثرة في القطب الثاني من كتاب الجامع الكبير والتقرير «يمكن أن يؤدّى في أسلوب خبري، كما قد يؤدّى في أسلوب إنشائي، واستعمال التقريريات في صيغ التوكيد تفرضه سياقات تواصلية معينة»[1]. وأهم ما يتميز به هذا الصّنف من الأفعال هو احتمالها الصّدق والكذب.

تظهر التقريريات في الجامع الكبير على سبيل المثال في تشبيه المركب بالمركب مما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾(يونس: 24) حيث قال عنه أحمد مطلوب: «وهو أن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامَّت وتلاحقت حتى صارت شيئاً واحداً.»[2] وأضاف ابن الأثير قوله: «فشبّهت حال الدنيا بسرعة زوالها، وانقراض نعيمها، بعد الإقبال ، بحال نبات الأرض في جفافه ، وذهابه حطاماً، بعدما التفّ وتكاثف، وزَّينَ الأرض»[3].

فالفعل الكلامي في هذه الآية موضح عن طريق تّشبيه مركّب عناصر الحياة الدّنيا ومسارها من البداية إلى النّهاية ، بمركّب مسار الماء المنزّل من السماء، واختلاطه بنبات الأرض واخضرارها بسببه و ذهابه وزواله في آخر المطاف بقدرة الله تعالى، كما تزول الحياة الدنيا، فشبّه حال الدنيا بحال نبات الأرض الذي يعتمد في حياته على الماء ، وربط بينهما بأداة التّشبيه "الكاف" ووجه الشبه بين الحياة الدنيا واخضرار الأرض وزخرفها هو سرعة زوال نعيم الدنيا وخيراتها، كما يزول نبات الأرض الذي اهتزّ فيها وزيّنها بعد أمر الله تعالى.

فالأفعال الكلامية في نهاية الآية هي كالآتي:

---

[1] محمود طلحة، تداولية الخطاب السّردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عام الكتب، ط1، الأردن، 2012م، ص144.

[2] أحمد مطلوب، م س ، ص202.

[3] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س ، ص93.

الآية
- الإخبار: هو قوة إنجازية صريحة، متمثلة في وصف حالة الحياة الدنيا، سريعة الزوال ودعوته التأمل في ذلك.
- معنى ضمني متمثل في الكناية وهي فعل كلامي غير مباشر هو الوعظ والذم والتحسر.

الذم: في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ**﴾ فشبّه من يبتغي في الأرض ويغتر بالدنيا ، ويشتد تمسكه بها ، ويقوى اعتراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها[1] بالنباتات الجافة، التي تذهب حطاماً بعدما التفّت وتكاثفت، وزيّنت الأرض[2] وهو تبيان حال الحياة الدنيا الزائل ، وقد استعمل الإخبار الوارد في الآية للدلالة على ذلك ، فالله يشبه مسار الحياة الدنيا من بدايتها إلى بلوغها أوجها وبهرجتها ونهايتها كمثل الماء المنزل على الأرض فيُنْبِتُها ويزيّنها ثم يزول بعد ذلك وقد لعب حرف "الفاء" دوراً حاسماً في الإسراع بذلك الدّمار والزوال، فالتّشبيه هاهنا صور للناس مدى حقارة الحياة الدنيا التي لا تحتاج كل الاهتمام والحب الشديد، وأنها ليست دار القرار، فالله يطلع عباده على بعض الأمور الغيبية كماضي الدنيا وحاضرها ومستقبلها ، من خلال تشبيهها بأمور مشاهدة عياناً في حياتهم اليومية لكي يتأملوا ويتعظوا ولا يتحسروا من حالها المتقلب سريع الفناء ، حيث احتوت هذه الآية على مجموعة من الأفعال الكلامية تمثلت في التأكيد والتقرير والذم والإغترار والإعجاب والحسرة اندرجت تحت فعل كلامي كُلِّي هو التقرير والذَّم، فاستخدام التشبيه لوصف حال الدنيا وتقرير ذلك من خلال تشبيهها بما هو معلوم لدى الناس من اختلاط الماء المنزل من السماء بنبات الأرض، حيث جاءت الفاء لتسرع الاختلاط ولتقوي الفعل الكلامي التقريري غير المباشر، وتؤكد على حصول ذلك الأمر مباشرة بعد نزول المطر ، ثم فعل كلامي غير مباشر آخر مستلزم من المقام هو الإعجاب والإغترار بذلك الزّخرف والزّينة التي لا تلبث طويلا حتى تزول، حيث أفاد الضمير "حتى" المدة الزمنية التي تستغرقها الأرض لبلوغ تلك الزّينة، مما يجعل الناس في غفلة من أمرهم ونسيانهم النهاية المحتومة للدنيا لديهم كونها مشابهة للنهاية المحتومة للنبات، كما ساهم التشديد في الفعل ﴿ازَّيَّنَتْ﴾في المبالغة على

[1] ينظر، الرازي، ج17، م س ، ص76.

[2] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير ، م س ، ص93.

"كمال الرّونق والزّينة"[1] وصيغة اسم الفاعل "قادرون" في تقوية الفعل الكلامي غير المباشر المتمثل في الإعجاب والإغترار، ليختم الله تلك الحالة الجيدة الهادئة بأمر يقلب به الأوضاع رأسا على عقب باختيار واقتدار مطلقي الزمان في أي وقت شاء ينجزه، فينهي ذلك الأمر المتمثل في الفعل الكلامي المباشر ﴿فجعلناها﴾ الحياة على وجه الأرض كأن لم تكن بها حياة قَبْلُ.

وقد دلّ ذلك الفعل على الذّم والتحسّر على هاته النهاية المحتومة وغير المتوقعة بعد مشاهدة الحالة السابقة لها ومما زاد في تقوية ذلك الفعل الكلامي ارتباط الفاء به التي أفادت معنى السرعة في إنجاز الفعل.

وكذلك أورد ابن الأثير في نفس الباب قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ**﴾(البقرة: 17) وعلق ابن الأثير قائلاً: «أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أَوْقَدَ ناراً، في ليلة مظلمة بمفازة، فاستضاء بها ما حوله، فاتقى ما يضاء وأَمِنَ، فبينما هو كذلك، إذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفاً متحيّراً ، وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار بها، واعتز بعزها، وأمن على نفسه وماله وولده ، فإذا مات عاد إلى الخوف، وبقي في العذاب والنقمة» [2].

استعمل الله المثل في هاته الآية «وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي" بالجلي ، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك في نهاية الإيضاح» .[3] فالله شبه حال المنافقين وحيرتهم بعد إظهار إيمانهم بحال من أوقد نارا ليتقي الأخطار المحيطة به ، وحيرته عند انطفائها. ويقول أيضا: «وهو أنهم لما أظهروا الإسلام فقد ظفروا بحقن دمائهم وسلامة أموالهم عن الغنيمة وأولادهم عن السّبي ، وظفروا بغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين ، وعدّ ذلك نورا من أنوار الإيمان ، ولما كان ذلك بالإضافة إلى العذاب الدائم قليلا قدرت شبههم بمستوقد النار الذي انتفع بضوئها قليلا ثمّ سلب ذلك فدامت حيرته وحسرته ، للظلمة التي جاءته في أعقاب النور ، فكان يسير انتفاعهم في الدنيا يشبه عظيم ضررهم في الآخرة يشبه الظلمة.» [4]

وأضاف ابن الأثير أيضا: "واعلم أنّهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب بهذا التمثيل ، ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم ، بذهاب الله بنورهم ،

[1] الرازي، ج17، م س ، ص76.

[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س ، ص93.

[3] الرازي، م س، ج2، ص80.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص81.

وتركهم في الظلمات» [1] فالفعل الكلامي الإخباري –كما قال ابن الأثير–ممثل في حالة الكفار العجيبة وحيرتهم الدائمة بسبب نفاقهم المستمر ، التي تشبه حالة مستوقد النار في الليلة الظلماء لاتّقاء الأخطار وحيرته بعد خمودها ، وقد ربط بينهما بحرف الكاف ، و قد سماه ابن الأثير بالتمثيل ، ويقول الرازي مفسّرا للآية: «بل وجه التشبيه بهذا المستوقد أنه لما زال النور عليه تحير ، والتحير فيمن كان في نور ثم زال عنه أشد من تحيّر سالك الطريق في وظلمة مستمرة، لكنه تعالى ذكر النور في مستوقد النار لكي يصحّ أن يوصف بهذه الظلمة الشديدة.» [2]

فالكفر ظلام وهو في الليل معظمه والنور الصادر من النار هو الإيمان وهي تضيء من الظلام إلا حيزا صغيرا محيطا بالمستوقد لاتقاء الأخطار ، وهو نفسه ما يظهره الكافر من الإيمان اتقاءً لبطش المسلمين بهم وهو حصول الأمان لأنفسهم ، وهذه هي حالتهم من النفاق، ويظهر من خلال التشبيه أن الفعل الكلامي قد أنجز فعلا غير مباشر مستلزم من المقام ، وهو الذم والتحقير والتبكيت والتقرير، ليمثّل لهم هداهم الذي باعوه ، بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم ، بذهاب الله بنورهم. حيث بكّتهم لأنهم تبجّحوا بالإيمان حتى لا يُشَكّ في إيمانهم وذلك هو حال المنافقين يضعون أنفسهم دائما في موقف المدافع عنها ، وذمّهم كذلك لحقارة أهدافهم وتفاهة مبتغاهم ، والطريق التي ابتغوها لتحقيق تلك الأغراض الدنيوية ، فكان حقا على الله أن يطبع قلوبهم بالكفر والظلام وسنوضح الأفعال الكلامية فيما يلي:

﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا** ← وصف وإخبار بحال المنافقين المخادعين

أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ... ﴾ ← فعل كلامي مستلزم مقاميا غرضه ذم وتحقير وتبكيت

وفعل كلامي آخر هو التقرير في قوله تعالى:﴿...**وتركهم في ظلمات لا يبصرون**...﴾ فبطبيعة الحال لمّا يذهب النور يحل الظلام وهذه سنة كونية حقيقية مشاهدة لدى البشر جميعا غرضها التقرير، كون الله إذا أذهب النور أحل محله الظلام ، وكذلك يفعل بقلوب البشر بعدما يذهب عليهم نور الإيمان ، ويتركهم متحيرين يتخبطون في ظلمات الجهل فلا يرون طريق الحق.

وقد تعرض ابن الأثير إلى الإخباريات كذلك في باب "التخلص والاقتضاب حيث قال عنهما : «فأما التخلص ، فهو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني ، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر ، وجعل الأول سببا إليه فيكون

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص93.

[2] الرازي، م س، ج2، ص81.

بعضه آخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع المؤلف كلامه ، ويستأنف كلاما آخر.» [1] ويقول في تعريفه للاقتضاب: «وأنا الاقتضاب فهو ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول ، ولا تلفيق بينه وبينه» [2] وقد رد ابن الأثير على أبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي الذي قال: "إنّ كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص" بقوله: «وهذا القول فاسد، لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك ، كالخروج من الوعظ والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد ومن محكم إلى متشابه ، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم لشيطان مريد ، وجبار عنيد بلطائف دقيقة، ومعان آخذة بالقلب» [3] وقد مثل ابن الأثير على قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عليْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيْه**...﴾ (الشعراء:69)

فالفعل الكلامي الوارد في صيغة الأمر لم يرد لغرض الإلزام بفعل التّلاوة أو الذّكر، وإنما جاء لغرض الإخبار أي إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بما حدث لسيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه.

فالفعل الكلامي حمل قوة إنجازية إخبارية إحالية لتلك القصة ، «ليعرف محمد أيضا أنّ حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان أشد من حزنه ، لأن عظيم المحنة على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه وقومه في النار وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه» [4] أما الفعل الكلامي المستلزم مقاميا هو التسلية والتخفيف والإيناس أي: تسلية قلب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتخيف وقع الصد والإعراض والكفر من طرف قومه ، وإيناسه لأن ذلك لم يحصل له هو فقط ، بل حصل لرسل قبله وتلك هي حال الرسل دائما يقابلون برد دعوتهم للإيمان. والقوة الإنجازية للفعل متحققة في صيغته الأمرية المسبوقة بالواو والتي تحيل على سابق قد تحقق فعلا ولا غرابة في أن يتكرر كونه معروفا لدى الله فالله يعلم أن هذا سيحصل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بذلك يحاول أن يؤنس قلبه بتذكيره بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الماثلة لها أو أعظم منها.

❖ الفعل الكلامي: "ما تعبدون"

[1] المرجع السابق، ص181.
[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
[3] المرجع نفسه، ص182-183.
[4] الرازي، م س، ج24، ص142.

جاء الفعل الكلامي هنا ممثلا في الاستفهام الذي لا يقصد به السّؤال «حين سأله أولا عمّا يعبدون سؤال مقرّر لا سؤال مستفهم»[1]، فالغرض لم يكن في السؤال عما يفعلون ، فهو يعرف ذلك مسبقا «ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء».[2] فهو إذن يقصد بذلك السّؤال تقريرهم وتنبيههم على أفعالهم المتمثلة في عبادة ما لا يستحق العبادة وإشهادهم على أنفسهم بأنفسهم في أقوالهم ويأخذهم بعد ذلك فيما يقولون ، أما الأفعال الكلامية المستلزمة مقاميا فهي: التوبيخ والإستهزاء بهم وبأصنامهم التي لا تنفع ولا تضر يقول ابن الأثير: «ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الأصنام سؤال موبخ لهم ، مستهزئ بهم»[3]، وأضاف الرازي في ذلك قائلا: «حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم»[4] و لتدعيم القوة الإنجازية للفعل الكلامي الإخباري الوارد في صيغة الاستفهام استعمل قوم إبراهيم عليه السلام في جوابهم على ذلك نفس الفعل الذي سُئلوا به بصيغة المضارع للدلالة على استمرارهم في فعل العبادة واشتراكهم بنفس الدرجة ، فهم يعلمون أن نبيهم إبراهيم ينكر عليهم ذلك ولكنهم يتعمدون ويبالغون في فعل ذلك علنا ليبينوا له أنهم معرضون عن دعوته تماما ، غير آبهين بما يقول. وما يؤكد القوة الإنجازية أكثر فأكثر هو قوله تعالى: "فنظلّ لها عاكفين " فهم إنما قالوا ذلك ليس لأجل الإخبار فقط وإنما بغرض التفاخر بمثل هذه العبادات ، يقول الرازي: «واعلم أنه كان يكفيهم في الجواب أن يقولوا نعبد أصناما ، ولكنهم ضموا إليه زيادة على الجواب وهي قولهم "فنظل لهم عاكفين" وإنما ذكروا هذه الزيادة إظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الأصنام».[5] وهذا ما يدل على إبداء التفاخر باعتكافهم الدائم لعبادة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، وهنا تتحقق القوة الإنجازية الفعلية لهذا الفعل الكلامي.

[1] المرجع السابق ص183.
[2] الرازي، م س، ج24، ص142.
[3] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص184.
[4] الرازي، م س، ج24، ص142
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التوجيهيات: (الأمريات)

وهي «نوع من أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء»[1]، ويقصد فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل ما ومحاولة التأثير فيه، وهذا ما يمثل غرضها الإنجازي.[2]

وقد ورد هذا النوع من الأفعال في القطب الثاني من كتاب ابن الأثير في مواضع كثيرة منها:

-في التقديم والتأخير:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير؟

❖ الفعل الكلامي: "دع"

الفعل الكلامي المتضمن في هذه الجملة هو "التهكم والسخرية" ، فالمتكلم يريد إظهار حقارة مكانة المتلقي وعدم قدرته على التوعد.

وهذا الفعل الكلامي الذي ينتمي إلى صنف التوجيهيات جاء في صيغة طلب تتمثل في فعل الأمر (دع) وموضوعه الفاعل وهو الضمير المستتر (أنت) الذي يعد على المخاطب الذي يقصده الشاعر بهذا الطلب ، وفي هذا الفعل إحالة إلى المخاطب الذي أشار إليه الشاعر بالضمير المستتر (أنت) ، بالإضافة إلى الموقف الذي كان عليه كلا الطرفين (المتكلم صاحب السلطة في الخطاب) والمتلقي (مستقبل الخطاب)، وهذا يعني أن القضية التي يشير إليها البيت الشعري هي تبليغ الناس حقارة هذا المخاطب الذي يقصده الشاعر ، وهذا يستلزم منطقيا مكانة هذا المتلقي الوضيعة ، وما يؤكد على هذا قول الشاعر في الشطر الثاني (أطنين أجنحة الذباب يضير؟)

فالقوة الإنجازية الحرفية هي الأمر أما القوة الإنجازية المستلزمة من الفعل **"دع"** تتمثل في تأكيد عدم قدرة هذا المتلقي على إعطاء وعيد بل أن هذا الوعيد ما هو إلا كطنين الذباب.

- وفي الاستدراج

[1] جورج يول، م س، ص90.

[2] ينظر، الطبطبائي، م س، ص31.

يورد ابن الأثير قوله تعالى: "﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ (مريم:41-45)

❖ الفعل الكلامي: "اذكر، لم تعبد، يا أبت، اتّبعني"

ففي هذه الآية أفعال كلامية تنتمي إلى صنف التوجيهيات ، فإن الفعل (اذكر) يتضمن معنى الوعظ والارشاد والتوجيه، وفي قوله (يا أبتِ) النبي إبراهيم عليه السلام ينادي أباه ويستعطفه بـ (يا أبتِ) وهذا يتضمن تنبيه واستعطاف إبراهيم عليه السلام لوالده ، والفعل (لم تعبد) يتضمن نهي النبي إبراهيم لأبيه عن عبادة الأصنام ، والفعل (اتبعني) يتضمن النصح والإرشاد. فالأفعال الكلامية: "اذكر"، "لم تعبد"، "يا أبتِ"، "اتّبعني" أفعال كلامية تندرج في صنف التوجيهيات وتتكون من :

1-الفعل الكلامي: (اذكر)

يتمثل في الجملة الفعلية (اذكر) المكونة من الفعل (اذكر) وموضوعه الفاعل المستتر (أنت) الذي يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحيل إلى تذكير النبي ، فالقضية التي يشير إليها هذا الفعل تتمثل في تذكير النبي عليه الصلاة والسلام بمن سبقه من الرسل ، وهذا يقتضي تسلية قلب الرسول ، فإذا كانت القوة الإنجازية الحرفية لهذا الفعل هي الأمر ، فإن القوة الإنجازية المستلزمة هي الوعظ والتسلية والتوجيه.

2-الفعل الكلامي: (يا أبت)

يتمثل في حرف النداء (يا) ، والمنادى (أبتِ) الذي يشير إلى استعطاف النبي إبراهيم عليه السلام مع والده ، وهذا ما بيّنه ابن الأثير في أن النبي إبراهيم رتب كلامه في أحسن اتّساق وانتظام ، واستعمل صيغة (يا أبتِ) التي تحيل إلى اللطف واللين والأدب الجميل.[1] وهذا يقتضي تنبيه والده عن غفلته ونداؤه ودعاؤه بطريقة فيها حسن أدب ، فالقوة الإنجازية الحرفية عي "النداء" ، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي الاستعطاف ، وما يقوي القوة الإنجازية لهذا الفعل هو النداء المكرر قبل كل نصيحة ، وهذا ما بيّنه ابن الأثير في قوله: "وصدر كل نصيحة من

[1] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص235.

النصائح الأربع بقوله: "يا أبت" توسلا إليه واستعطافا ، فقال له في الجواب، فقال: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ (مريم:46)

3-الفعل الكلامي: (لم تعبد؟)

يتمثل في الجملة الفعلية في صيغة الاستفهام المكونة من حرف الاستفهام ، والفعل المستفهم به ، والموضوع وهو الفاعل المستتر (أنت) الذي يعود على أب إبراهيم ، ويحيل على كفر والد إبراهيم ، فالقضية التي يشير إليها هذا الفعل تتمثل في كفر والد إبراهيم عليه السلام ، ومحاولة النبيّ دعوة أبيه إلى الدين الحنيف ، فالقوة الإنجازية الحرفية تتمثل في الاستفهام ، أما القوة الإنجازية المستلزمة هي الإنكار ، فالنبي إبراهيم ينكر عبادة والده لهذه الأصنام.

4-الفعل الكلامي: (اتّبعني)

يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من الفعل (اتّبع) وموضوعه الفاعل المستتر (أنت) الذي يعود على والد إبراهيم ، وهذا يحيل إلى أن النبي إبراهيم وإن كان من صُلْب والده وأَصْغَر منه لِأَنه وَلَده فقَدْ اِطَّلَع مِنْ الْعِلْم مِنْ اللَّه عَلَى مَا لَمْ يعْلَمه والده وَلَا اِطَّلَع عَلَيْهِ وَلَا جَاءَه بَعْد ﴿**فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**﴾ أَيْ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا مُوَصِّلًا إِلَى نَيْل الْمَطْلُوب وَالنَّجَاة مِنْ الْمَرْهُوب..

فالقضية التي يشير إليها هذا الفعل هو رغبة إبراهيم عليه السلام في دخول والده إلى الدين الحنيف وترك عبادة الأصنام ، وعليه فالقوة الإنجازية الحرفية هي الأمر، أما القوة الإنجازية المستلزمة هي النصح والإرشاد.

التعبيريات:

وهي تتعلّق بشعور المتكلم، وحالته النفسية ويتمثل غرضها الإنجازي في التعبير عن حالة"سيكولوجية" نفسية تعبيرا يتماشى مع شرط الإخلاص ، وليس لهذه الفئة اِتّجاه مطابقة ، إذ لا يقصد بها مطابقة العالم للكلمات أو مطابقة الكلمات للعالم بلا لمقصود فيها صدق القضية المعبر عنها. وقد أشار ابن الأثير إلى هذا النوع من الأفعال التي تعبر عما يختلج في النفس من مشاعر في قوله: «المعاني تقرّر أولا في النفس وترتب في القلوب ، ثم يطلب لها بعد ذلك ألفاظ تعرب عنها وتدل عليها،»[1] فهو يبيّن أنّ المعاني تتصل اتصالا مباشرا بالشعور والحالات النفسية ويتم الإفصاح عنها بالكلمات، كما بيّن الدلالة الإفصاحية التي يسعى إليها المتكلم والتي يمكن أن يظهرها (أي يفصح بها) أو يخفيها ويجعلها مضمرة.

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص82.

يندرج تحت هذا الصنف من الأفعال: أفعال الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والتعزية، والترحيب.[1]
ونجد ابن الأثير يشير إلى هذا النوع من الأفعال في جل الكتاب ومن المواضع التي ورد فيها هذا الصنف من الأفعال ما يلي :

-في التشبيه:

لم يكتسب غير الثنا والحمد في حياته.

أبقى لنا منا مناقبا تنشر في مماته.

كالرند يبقى عرفه بعد ذهاب ذاته.

في هذا السياق برثي الشاعر صديقه ، و «يرتبط المدلول اللغوي لـ(الرثاء)بالميت والبكاء. وهما في الأصل مصدر للفعل (رثى) فيقال: رثيت الميت رثياً ورِثاءً ومرثاةً ومرثية إذا بكاهُ بعد مَوته. فإن مدَحَه بعد موته قيل رثَّاهُ يُرَثِّيه تَرْثِيةً. ورَثَيْت الميّتَ رَثْياً ورِثاءً ومَرْثاةً ومَرْثِيةً ورَثَّيْته: مَدَحْته بعد الموت وبَكَيْته. ورثَوْت الميّت أَيضاً إِذا بكَيْته وعدَّدت محاسنه، وكذلك إِذا نظَمْت فيه شعراً» .[2]

فهنا الشاعر يصرح مباشرة بالثناء والحمد فهو يضمن رثاءه مدحا وثناء وذلك في قوله: « لم يكتسب غير الثناء والمدح »هذه الجملة التي بدأت بحرف الجزم (لم) وهي: حرف "نفي وقلب وجزم" ويليها الفعل (يكتسب) وهو : فعل مضارع مجزوم، وموضوعه الفاعل وهو الضمير المستتر الذي يشير إلى المرثي وهو من يقصده الشاعر بكلامه، ويلي الفعل والفاعل مباشرة أداة الاستثناء (غير) التي تعتبر عنصرا أساسيا في هذه الجملة وذلك باعتبارها واقعة في محل نصب مفعول به للفعل (يكتسب) والمستثنى هو الثناء بالدرجة الأولى ، والحمد بالدرجة الثانية (لأن الحمد تابع للحمد وهو في هذه الجملة معطوف على كلمة الحمد. وكذلك في قوله : أبقى لنا مناقبا، هذه الجملة تتكون من الفعل (أبقى) وموضوعه الفاعل وهو الضمير المستتر (هو) الذي يشير إلى المرثي الذي يقصده الشاعر ، وألحق كلامه بالجار والمجرور (لنا) والجملة لا تكتمل إلا بكلمة (مناقب) وهي مفعول به للفعل (أبقى) ،وكذلك في قوله : كالرند يبقى عرفه بعد ذهاب ذاته ، شبه مرثيه بالرند الذي يبقى عرفه بعد ذهاب ذاته، وكذلك مرثيه مات

[1] ينظر، محمود نحلة، م س، ص80.
[2] ابن منظور، م س، كتاب الراء فصل(رثى)، ص149.

وبقيت مناقبه. فالصيغة الخبرية تدل على إخبار وتعديد مناقب المرثي وذكر محامده والثناء عليه ، وعليه فالقضية التي يشير إليها الشاعر في كلامه هي رثاء صديقه، والثناء عليه.

فالقوة الإنجازية الحرفية هنا تتمثل في الإخبار والرثاء وتعداد المحامد ، أما القوة الإنجازية المستهدفة فهي التذكير بمحامد هذا الإنسان ، ومن ثم تخليده في الأذهان.

–وفي التشبيه أيضا نجد ابن الأثير يورد مثالا ينتمي إلى صنف التعبيريات وهو في قول الشاعر:

أتتك أبا حسن وردة تلذّ النفوس بأنفاسها.

كعذراء أبصرها مبصر فردّت يدها على رأسها.

❖ الفعل الكلامي (تلّذ)

وهذا الفعل الكلامي ينتمي إلى التعبيريات ، حيث أنّ الشاعر يعبّر عن لذّته ويفصح عنها ، واللذة هي الشعور بالارتياح ، وهي : «كيفية نفسانية أولية لا تعرف إلا بنسبتها إلى شروطها وأسبابها ، كقولنا اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة الكائن الحيّ...و نفسانية تتولد من إدراك الكمال...والأولى أن تسمى اللذة الناشئة عن إدراك الكمال سرورا، أو حبورا، أو فرحا، أو بهجة وسعادة، لأنها تغمر جميع جوانب النفس.» [1] وهذا ما تدل عليه الصيغة الخبرية في الفعل (تلّذ) فهو يذكر شعوره بالارتياح بإتيان وردته إليه، وهو الفعل الكلامي الذي يعبر فيه الشاعر عن شعوره الصادق وإخلاصه في التعبير عن القضية ، وقد أفصح عنها مباشرة ، وذلك ما يحقق الغرض الإنجازي وهو التعبير عن حالة المتكلم وإحساسه بالراحة النفسية وتلذذه برؤية وردته.

وهذا الفعل الكلامي الذي يتمثل في الجملة الفعلية (تلذّ) تتكون من الفعل تلّد ، وموضوعه الفاعل المصرح به وهو كلمة (النفوس) ، وفي هذا الفعل إحالة إلى امرأة حسناء حيث أشار إليها بقوله (وردة) وجعل سروره وراحته متعلقان بها. إذن فالقضية التي يشير إليها هو الشاعر هي الإخبار عن لذّته وسروره برؤية هذه الوردة ولهذا نقل إلينا شعوره بالراحة في تشبيه هذه الوردة وهي (مفردة) بمركب و(هو الفتاة العذراء التي إذا أبصرها مبصر ردّت يدها على رأسها) فالقوّة الإنجازية الحرفية الإخبار و وصف حالته النفسية ، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي

[1] د جميل صليبا، المعجم الفلسفي للألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دط، 1982م، ج2، ص282.

الإفصاح عن الحالة النفسية التي يحسّ بها الشاعر برؤية هذه الوردة ومن تم يوضّح إعجابه الشديد بها ونشوته لرؤيتها.

–وفي الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع وعن الفعل المضارع بالماضي:

نجد ابن الأثير يورد مثالا يندرج ضمن التعبيريات وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ (النمل:87)

❖ الفعل الكلامي: "ففزع"

فالمتكلم هو الله سبحانه وتعالى والمخاطب هو الرسول صلى الله عليه وسلم بالدرجة الأولى باعتباره نذيرا ، ينذر الناس وينقل إليهم الرسالة السماوية ، وجملة الفعل الكلامي لهذه الآية هي الإخبار عن يوم الحساب ، وبهذا فإن قوتها الإنجازية الحرفية تتمثل في الإخبار عن يوم القيامة ، والقوة الإنجازية المستلزمة هي الخوف والتهويل حيث أخبر عن حال الناس في ذلك اليوم بالفعل الماضي الذي يدل على المستقبل ، وذلك للإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة ، واقع أهل السماوات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعا به.[1]

– في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده:

نجد ابن الأثير قد صرّح بالإفصاح في هذا الجانب وقد أورد عدة أمثلة وبيّن أنّها تحمل دلالات نفسية ، ومن ذلك قوله : «ولما تلاقينا وبنو تميم، أقبلوا إلينا يوفضون وابتدروا نحونا يركضون. وجاؤوا كأنهم في تكاثفهم ليل ، وفي سرعتهم سيل. فرأينا منهم أسودا في المقاتلة، وثعالب في المخادعة والمخاتلة، وتناجد بنو تميم علينا بحملة، فلذنا بالفرار، واستبقنا إلى تولية الأدبار ».[2]

❖ الفعل الكلامي: أقبلوا ، ابتدروا، جاؤوا

وفي هذا القول أفعال كلامية (أقبلوا ، ابتدروا، جاؤوا) وفيها فعل كلامي غير مباشر وهو يدل على التعجب ، فهذه الأفعال تحمل دلالة إخبارية وتتكون من (الفعل + الموضوع وهو الفاعل "الضمير المتصل") الذي يشير إلى

[1] ينظر ، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص104.
[2] المرجع نفسه، ص180.

بني تميم ، فالقضية التي تشير إليها هذه الأفعال هي الإخبار عن حال بني تميم والتفخيم من شأنهم وتعظيمهم. ومن ثم فالقوة الإنجازية الحرفية هي التعظيم والتفخيم، أما القوة الإنجازية المستلزمة هي التعجب ، وهذا ما أكدّ عليه ابن الأثير في قوله: «فإنّك قلت: وتناجد بنو تميم مصرحا بذكرهم ، ولم تقل، وتناجدوا، كما قلت: "أقبلو"، "وابتدروا"، "وجاؤوا" للدلالة على التعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدتهم إقدامهم.» [1]

- **في الاقتصاد والإفراط والتفريط**

يورد مثالا يندرج ضمن التعبيريات وهو قول بشار:

إذا ما غضبنا غضبة مُضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما.[2]

❖ الفعل الكلامي: "غضبنا"

فالشاعر يعبر غضبه وقد أفصح عن ذلك في قوله (غضبنا) ، فهو يعبر عن غضبه مباشرة ومن ثم فالغرض الإنجازي لهذا الفعل هو التعبير عن الغضب والسخط ، وهذا الفعل الكلامي (غضبنا) جاء في صيغة خبرية تتمثل في الجملة الفعلية المكونة أساسا من الفعل (غَضِبْنَا) وموضوعه الفاعل الضمير المتصل (نا) الذي يعود على الشاعر ومن يقصده في بيته، والقضية التي يشير هي الإخبار عن الغضب وما يقوي هذا هو إلحاق الجملة بالمفعول المطلق وهو (غضبة) وهو إفراط في القول وهو ما ذكره ابن الأثير في أنّ الإفراط بأن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه المعبر عنه وذلك قصد تجاوز عنها ، فهو أمر فيه تجاوز في الحد.[3]وعليه فالشاعر مفرط في غضبه وهذا ما صرح به مباشرة في البيت. وإذا كانت القوة الإنجازية الحرفية هي الإخبار بالغضب المفرط ، فإن القوة الإنجازية المستلزمة هي التصريح بقوّة غضب الشاعر ومن ثم التحذير من هذا الغضب ، وفي عجز البيت تأكيد على الإفراط في الغضب ، وذلك في قوله: "هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما"، وفي هذا القول تأكيد لغضب الشاعر وتهويل وتخويف من هذا الغضب.

[1] المرجع السابق، ص180.
[2] المرجع نفسه، ص228.
[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص226.

الوعديات (الالتزاميات)

وهي «الملزمات وهي تُعبّر عما ينويه المتكلم من وعوج وتهديدات وتوعُّدات.» [1] والغرض منها إلزام المتكلم بأداء فعل معين في المستقبل[2] وتشمل الوعديات أفعال الوعد والوعيد ، الترغيب والترهيب ، التخويف والتهديد ، الزجر والتحذير.

استعمل ابن الأثير (الوعديات) في كثير من المواضع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

-في التشبيه:

أورد ابن الأثير في التشبيه مثالا يندرج في إطار الإلزاميات، وهو قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(النور:39)

❖ **الفعل الكلامي**:"الذين كفروا"

في هذه الآية فعل كلامي مباشر هو قوله تعالى "والذين كفروا" حيث تضمن الإخبار عن حال الذين يكفرون بالله فشبه أعمالهم بسراب بقيعة.

فهذا الفعل الكلامي المتمثل في الوعيد للكفار يتشكل من الاسم الموصول (الذين) الذي يحيل على الكفار، حيث ابتدأت به الجملة ليليها جملة فعلية (كفروا) "فعل+ فاعل "ضمير متصل" وموضوعه الأساسي هو الفاعل (الكفار)، والقضية التي تشير إليها الآية هي توعد الكافرين وأعمالهم، وهذا يستلزم توعد هؤلاء الكفار بعذاب شديد لكفرهم بما أنزله الله، فالقوة الإنجازية تتمثل في الوعد بالعذاب الأليم، وسوء عاقبة الكافرين، ويقوي إنجازية هذا الفعل الكلامي قوله تعالى: "فوفّاه حسابه والله سريع الحساب" فهذا يؤكد على تعظيم عذا الوعيد الذي ينتظر كل كافر، وأكد على هذا أيضا بقوله: "والله سريع الحساب" فهذا تحذير لكل كافر من سرعة محاسبة الله له.

[1] جورج يول، م س، ص90.

[2] ينظر، الطبطبائي، م س، ص32.

- **وفي الإيجاز:**

يورد ابن الأثير مثالا يشمل فعلا كلاميا وهو قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (الزمر:22)

❖ الفعل الكلامي: "ويل"

ففي هذه الآية نجد الفعل الكلامي (ويل) الذي ينتمي إلى صنف الوعديات، حيث يتوعد الله الناس القاسية قلوبهم عن ذكره عزّ وجلّ، يقول الرازي: «فيه سؤال وهو أن ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان »[1] وهذا الفعل الكلامي يتكون من (ويل) وهي مصدر يحيل إلى الوعيد وهذه الجملة الاسمية تكملتها جاءت في (القاسية قلوبهم) فكان الخبر جملة اسمية أيضا، ففعل الوعيد الذي تضمنته الآية يبين العقاب الذي ينتظر القاسية قلوبهم، وأكد على هذا بقوله: "أولئك في ضلال مبين"، وهذا القول يحتوي تحذير ، لأن الذين قست قلوبهم عن ذكر الله يكونون في ضلالة، وذلك لأن في قوله: "فويل للقاسية قلوبهم" حذف وهو ما يسميه ابن الأثير "إضمار على شريطة التفسير"، فتقدير الآية "أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه" وقد دل على هذا المحذوف قوله تعالى: "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله.[2]

فالقوة الإنجازية الحرفية تتمثل في إلحاق الويل بالذين قست قلوبهم عن ذكر الله ، وما يستلزم عن ذلك هو ضلالتهم وضياعهم من جراء هذه القسوة ، وهو ما يقتضي توعدهم بالعذاب الأليم.

-وفي الاستئناف:

«وهو حذف السؤال المقدور، وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر عجيب المغزى» [3]، نجد ابن الأثير يذكر مثالا وهو في قوله تعالى: "﴿**وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (ياسين:22)

❖ الفعل الكلامي: "وإليه ترجعون"

[1] الرازي، م س، ج26، ص266.
[2] ينظر، ابن الأثير ، الجامع الكبير، ص126.
[3] المرجع نفسه ، ص137.

وفي هذا القول فعل كلامي مباشر (وإليه ترجعون) وهو من صنف الوعديات حيث يخبر أن مصيرنا هو الرجوع إلى الله، وفي هذا القول تحذير ووعيد من ترك عبادة الله الذي خلقنا ، يقول ابن الأثير : «يوم الميعاد سيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشرٌّ.» [1]

جاء هذا الفعل الكلامي في صيغة خبرية وهي الجملة الاسمية (وإليه ترجعون) وموضوعها العباد كما تحيل (الهاء) في (إليه) إلى الذات الإلهية التي تكون إليها الرجعة وقضيتها أن الله يعد عباده بالرجوع إليه وهذا يدل بأنّ جميع العباد مصيرهم العودة إلى الله، وهذا يستلزم عبادة الله، فالفعل الإنجازي المتمثل في الإخبار عن الرجوع إلى الله وهذا الفعل يحمل قوة إنجازية مستلزمة وهي تحذير ووعيد للذين لا يعبدون الله الذي خلقهم.

-وفي الكناية:

نجد ابن الأثير يورد مثالا هو عبارة عن فعل كلامي ينتمي إلى الوعديات وهو "إيّاك وعقيلة الملح"

❖ الفعل الكلامي: "إياك"

يتكون هذا الفعل من (إياك) ويليها (عقيلة الملح)، فهي تقتضي التحذير، وهذا القول تمثيل للمرأة الحسناء في منبت السوء لأن عقيلة الملح هي الدرة.[2] فهذا الفعل الكلامي "إياك" يتضمن فعلا كلاميا غير مباشر وهو الوعيد لأن الذي يتعظ بكلام العرب سيقع في جريرة عناده ، فهذا تأكيد للعواقب التي تنجم عن عدم الاتعاظ.

-وفي الإرداف:

يورد ابن الأثير مثالا وهو قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة:24)

❖ الفعل الكلامي: "فاتّقوا النار"

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض السعودية، 1999م، ج6، ص571

[2] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص159.

في هذه الآية فعل كلامي غير مباشر هو الوعيد، فالمتكلم هو الله عز وجل والمخاطبين هم الكفار، والغرض من هذا الفعل الكلامي هو إخبار الناس بما يعده لهم من عذاب النار التي وقودها من الناس والحجارة، «لأن اتّقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة.» [1] ونظير هذا أن يقول الملك لحشمه: «إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي" يريد فأطيعوني واتّبعوا أمري، وافعلوا ما ينتجه حذر السخط وذلك رادف له» .[2] فالفعل الكلامي "اتّقوا النار" يدخل ضمن الوعديات ويتكون من "اتقوا" الفعل في صيغة الأمر من الآمر الذي له السلطة على المأمور، وموضوعه الفاعل وهو الضمير المتصل (واو الجماعة) الذي يعود على المكلفين، وفي هذا الفعل إحالة إلى الآمر وهو "الله" ، وإلى المكلفين بالضمير المتصل (واو الجماعة)، فقوله "واتقوا النار" "أثر لجواب الشرط في قوله: "فإن لم تفعلوا" دلّ على جمل محذوفة."[3]

فالقضية التي يتكون منها هذا الفعل الكلامي هو أمر الله الناس للاتقاء من النار، والغرض هو توعدهم بإعداد النار للكافرين.

الإيقاعيات (الإعلانيات)

وهي «أنواع أفعال الكلام التي تغيّر الحالة عبر لفظها ، ويتوجب على المتكلم تسنم دور مؤسساتي في سياق معين لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة.» [4] وهي عند أوستين مبعثرة بين مجال الأحكام ومجال القرارات ، وكان لسيرل الفضل في تجميعها في مجال واحد.[5] وتعد الإيقاعيات أفعالا كلامية مباشرة ، وهي قليلة الإستعمال لأنها تقتصر على الأفعال التشريعية كالتوكيل ، والتفويض ، والوصية ، والتوريث ، والإجازة...وذلك لأن الأفعال الكلامية إن استخدمت غير مباشرة فسوف تؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق.[6] ويقع الفعل في هذا النوع من الأفعال بمجرّد النطق بلفظها ، وتشمل أفعال العقود ، والبيع ، والشراء ، والهبة ، والوصيّة ، والوقف ، والإجازة ، والزواج ، والطلاق ، والدّعوى، والإنكار، والتنازل ، والقذف ، والوكالة...

---

[1] الزمخشري، م س، ص50.

[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص163.

[3] ينظر، ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1984م، ج1، ص342.

[4] جورج يول، م س، ص89.

[5] ينظر، علي محمد الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م، ص63.

[6] ينظر، محمود نحلة، م س، ص83.

ونجد الإيقاعيات في الجامع الكبير في عدد من الأمثلة ومن ذلك:

-في الالتفات:

حيث نجد قوله تعالى: ﴿**إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ (هود:54)

❖ الفعل الكلامي: (إني أشهد)

ففي قوله تعالى: "إني أشهد الله" فعل كلاميّ إيقاعيّ إذ فيه يتحقق الفعل لمجردّ التلفظ بالمنطوق الإنجازي، إذ يتمّ من خلاله إعلان المتكلم وهو النبي (هود) عليه السلام للمخاطبين ، وهم (قومه) ، أنه يشهد الله، حيث أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد ، فيقول الرجل: الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله ، فإن قلت: هلاّ قيل: إني أشهد الله وأشهدكم؟ قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدّ معاقده.[1]

وقد جاء الفعل الكلامي "إني أشهد" في صيغة خبرية مكونة من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الاسمية المكونة من (إنّ) التوكيدية والمشبهة بالفعل، واسمها وهو الضمير المتصل العائد على النبيّ هود عليه السلام، وخبرها المتمثل في الجملة الفعلية (فعل+فاعل+مفعول به).

المخاطب الأول في هذا الفعل الكلامي هم قوم "هود" عليه السلام والغرض من هذا الفعل الكلامي هو إعلان براءته مما يشركون، والمحتوى القضوي لهذا الفعل هو عدم تحمّل النبيّ لشرك قومه ومن ثمّ إعلامهم بأن الله سيحاسبهم لشركهم وعبادتهم آلهة جامدة لا تضرّ ولا تنفع، وتحيل إلى نزاهته وعدم خوفه منهم ومن انتقامهم، وذلك لضعف آلهتهم المعبودة، وكان استعمال (إنّ) بما تحمل من خصائص التوكيد لزيادة تأكيد نزاهته وبراءته من عبادتهم.

-وفي الاعتراض:

[1] ينظر، الزمخشري، الكشاف، ج2، ص583.

topdf: http://www.al-mostafa.com

وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة مرجوة من قبل المتكلم، ويورد ابن الأثير الاعتراض لبيان ما يفرق به المؤلف بين الجيد منه والرديء[1] وبالتالي يعرف مواضع استعمال كل من أنواع الاعتراض حسب السياق الملائم ، ومن الأمثلة التي استعملها ابن الأثير في الاعتراض وهي أفعال كلامية من صنف الإيقاعيات نجد قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ (لقمان:14)

❖ الفعل الكلامي: "وصينا"

في هذه الآية فعل كلامي هو الوصية بالوالدين، وهو فعل كلاميّ ، واتّجاه المطابقة فيه من القول إلى الواقع، ليلتزم الناس بهذا الإعلان ، والمراد به الإحسان إلى الوالدين عند عجزهما وقد جاء هذا الفعل الكلاميّ حكما مستقلا ، وهو من الأحكام الشرعية التي تستمد قوتها من سلطة الخطاب.

وقد جاء هذا الفعل الكلامي في صيغة خبرية ، تتمثل في الجملة الفعلية المكونة من الفعل **"ووصينا"** وموضوعه الفاعل وهو يعود على الذات الإلهية، وهذا الفعل تسبقه "الواو" التي تدل على الاستمرارية ، فهو لما أوصى بالوالدين "ذكر ما تكابده الأم من المشاق والمتاعب في حمل الولد وفصاله ، إيجابا للتوصية بالوالدة وتذكيرا بحقها.[2]

فالغرض الإنجازي إذن هو إحداث المطابقة من القول إلى العالم، وذلك بالإحسان للوالدين والعطف عليهما ويتضمن القول محتوى قضويا صادقا يعبر عن إنسانية وسماحة الإسلام خاصة، ويسعى هذا الفعل لتحققه في الواقع وذلك حتى يشعر الناس بمعاناة والديهم عند الكبر وحمل الناس على حفظ كرامة الوالدين، وقد أحدث هذا الإيقاع تغييرا كبيرا في واقع الناس بعد إعلانه ، وقد أكّد المتكلم وهو الله عزّ وجلّ على الوصية بالوالدين وضرورة العمل بما شرعه الله، فأشار غلى ضرورة شكر الله وشكر الوالدين ، وبيان أن الرجوع لله وذلك في قوله: "أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير" ومادام مصيرنا هو العودة إلى الله فعلى الإنسان الإلتزام بأمره سبحانه وتعالى ، فهذا الفعل يعتمد على المخاطب وهو (الناس) لإحداث المطابقة فالمراد به إيقاع فعل الوصية بالوالدين.

[1] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص118.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص119.

خلاصة:

يظهر جليا أن أفعال الكلام نظرية تسعى إلى إبراز الجانب التأثيري للكلام ، ولذلك اهتم ابن الأثير بهذا المبحث اللغوي ، وفق القواعد الكلامية التي يستعملها المتكلم والمخاطب في خطاب تواصلي ، و أهم العناوين والمباحث التي تطرق إليها ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير أغراض المتكلم المختلفة ، وصولا إلى الغرض الإنجازي لأن المتكلم قد يقول كلاما يحمل قوى تأثيرية تدرك من خلال تحليل المستويات الخطابية ومراعاة عناصر القول وقصديته.

وكشف ابن الأثير عن تباين الأغراض من سياق لآخر من خلال استعماله لألفاظ وشواهد من إخباريات، وأمريات، و تعبيريات ، و وعديات، وإعلانيات

الفصل الثاني: الحجـــاج والقصدية في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول :الحجاج

المبحث الثاني: القصدية

تمهيد:

إن غاية كل متكلم هي التأثير في المخاطب والوصول إلى مقاصد القول ، وعليه يسعى المتكلم إلى توظيف حجج متمثلة في وسائل وأدوات بلاغية من شأنها أن تحقق الغرض الحجاجي ، وتتنوع الوسائل الحجاجية حسب نوع الخطاب وغايته وتوجهه و مقصديته.

يعد كتاب ابن الأثير تجسيدا للحجاج في الكتب البلاغية ، فهو يسعى إلى الوصول إلى أهدافه من خلال الاعتماد على تقنيات حجاجية ، كاستخدام ألفاظ قوية ، إعطاء الشواهد والتوسع فيها ، وتكرار الفكرة في مختلف مباحث الكتاب ليصل إلى إلزام المتلقي بقبول ما يرمي إليه ، وكان ابن الأثير يعتمد على مبدأ القصدية تصريحا وتضمينا عن ذلك في عدد من المواضع.

المبحث الأول : الحجاج

يعتبر الحجاج سمة من سمات التخاطب الإنساني، وبخاصة في الخطابات المتضمنة المقصدية والجدل والنقاش، كالنصوص الأدبية والنصوص الفقهية، وغيرها.

إنّ الحجاج من المواضيع المثيرة للبس وذلك لتعدد وتنوع مظاهره، وتباين مرجعياته من فلسفة، ومنطقة ولغة وخطابة...إلخ. ومن هنا يصعب إيجاد تعريف جامع للحجاج، وعليه سنعرض المعنى اللغوي ثم المفهوم الاصطلاحي له.

1-المعنى اللغوي للحجاج:

نجد في لسان العرب لابن منظور يقال: «حاجيته أحاجه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) والمحجة الطريق، وقيل: محجة الطريق سنته(...) والحجة الدليل والبرهان." وقيل: الحجة ما دفع به الخصم وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محايج أي حيلٌ، والتحاجُّ : التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجة محاجة وحجاجًا نازعه، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته» [1] بهذا فإنّ الحجاج عند الحجاج عند ابن منظور مرادف للجدل.

أمّا ابن فارس فإنه يحصر مادة(ح ح ج) في أربعة معان كبرى، "الحاء والجيم أصول لأربعة.

فالأول: القصد، وكل قصد حج، ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام.

والأصل الآخر: حجة وهي السنة.

والأصل الثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين.

والأصل الرابع: الحجحجة، النكوص يقال جمعوا علينا ثم حجحجوا.[2]

[1] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تر عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مج2 ،ط2، 2009، ص259،260.

[2] ينظر، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979م، ج 2،ص29،31.

ويقابل لفظ "حجاج" Argumentation في الفرنسية التي تعني «مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.»[1]

وبهذا فإنّ المعنى اللغوي للحجاج لم يخرج في مجمله عن معنى المخاصمة والدليل والجدل والغلبة.

2-الحجاج اصطلاحا:

إنّ الحجاج مفهوم عائم، يصعب حصره وتحديده داخل كم هائل من المرجعيات النظرية، فنجده متواترا في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والنفسانية، وفي المقاربات اللسانية والخطابية.[2] وبهذا فإنّ الحجاج متعدد الدلالات والاستعمالات وذلك لتعدد مجالاته.

اهتم البلاغيون القدامى، وعلى رأسهم أرسطو (384،321) ق م بمختلف فنون الخطاب وأولو للخطابة والشعر اهتماما كبيرًا، كما اهتّم أرسطو بالحجاج حيث نظر إليه من زاويتين هما الزاوية البلاغية والزاوية الجدلية، فربطه في الزاوية البلاغية بالجوانب المتعلقة بالإقناع أمّا عند أرسطو فهو حجاج يقوم على اختيار الأقاويل، كما اعتبر الخطابة حجاجا إقناعيا بهدف إلى استرجاع الحقوق المسلوبة بواسطة اللغة.[3]

أمّا في البلاغة الجديدة فأهم من يمثلها (شايم بيرلمان) (ch . perlaman) الذي حاول أن يجعل البلاغة أداة تفسر وتحلل الظواهر المعرفية ولهذا عرّف الحجاج انطلاقا من اهتمامه بجميع المستمعين بقوله: «هو دراسة مجمل التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تسمح بإثارة وتنمية انقيادات الذهن لما يعرض عليه من القضايا المطروحة في درجة التصديق.»[4]

---

[1] Le grand robert , dictionnaire de la langue française , 1[er]edition ;pris ,1990 ,p65 .

[2] ينظر محمد طروس، النظرية الحجاجية دار الثقافة، الجزائر، ط1،2005، ص6.

[3] Chaïm perlaman, et luise Olbracht tyteca ,traité de l'argumentation ,édition de l'université de bauxelles ,6[e] éditions , France ,2008, p5 .

[3] ينظر، محمد سالم الأمين الطلية، الحجاج في البلاغة المعاصرة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2008م، ص46.

[4] Chaïm perla man , et luise Olbracht tyteca ;traité de l'argumentation ;édition de l'université de bauxelles ,6[e] éditions , France ,2008 , p5 .

يرى بيرلمان وتيتيكا أن الحجاج أقرب للخطابة منه إلى الجدل ويرى أن الهدف من تقريبه بين الحجاج والخطابة في قوله:«الغاية من تقريبنا بين الحجاج والخطابة أن نلح على أنّه لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع و يصادق على ما يعرض عليه.»[1]

اللسانيات (الحجاج في اللغة):

وضع أسس هذه النظرية الفرنسي "أوزفالد ديكرو" (o.ducrot) سنة 1973م و هي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم وذلك قصد توجيه خطابه نحو تحقيق أهداف حجاجية، فهي تنطلق من الفكرة الشائعة أننا نتكلم بقصد التأثير. وتطمح هذه النظرية إلى أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية.[2]

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال الكلامية حيث قام ديكرو بإضافة فعلين كلاميين هما (فعل الاقتصاد وفعل الحجاج) وقد عمل بلورة مبادئ يقوم عليها الحجاج في اللغة وهي:

- ✓ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.
- ✓ المكون الحجاجي أساسي والمكون الإخباري ثانوي.
- ✓ عدم الفصل بين الدّلاليات والتداوليات.[3]

يرى ديكور أن الخطاب الحجاجي يتشكل من ملفوظين يقوم أحدهما بتعزيز الآخر، فالأول م1(الحجة) والثاني م2 نتيجة، ويتبين أن الحجاج عند ديكرو يعتمد على اللغة ، وأنه مجال واسع فكل قول هو قول حجاجي.

[1] ينظر، عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوية تونس، سلسلة آداب، 1998، ص306.

[2] ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع،المغرب،ط1، 2006م،ص14.

[3]ينظر، أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة ، مجلة المناظرة، العدد4، المغرب،1991،ص79.

مفهوم السلم الحجاجي:

«هو مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية و مستوفية للشرطين التاليين:

- ❖ كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى لجميع الأقوال الأخرى.
- ❖ كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى.»[1]

مثال ذلك:

- حصل زيد على شهادة الثانوية.
- حصل زيد على شهادة الإجازة.
- حصل زيد على شهادة دكتوراه.

ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:

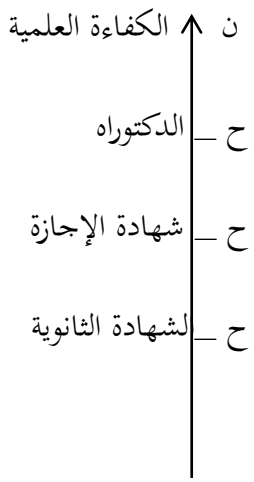

فهذه الحجج المتدرجة من الحجج الضعيفة إلى الحجة القوية تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي وكلها

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، 2000م ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط2، 2000م، ص105.

تؤدي الى نتيجة واحدة (مضمرة) وهي كفاءة زيد.[1]

الروابط الحجاجية :

برز الدور الحجاجي للروابط مع ديكرو حيث بين أنَّ توجه الخطاب الوجهة التي يريدها المتكلم .يمكن التميز بين نوعين من المؤشرات الحجاجية أي بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

فالروابط الحجاجية تربط بين ملفوظين أو أكثر مثل (بل، لكن، حتى، لاسيما).

أمّا العوامل الحجاجية فتقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما يمكن التمثيل لها بـ(ربما، تقريبا، كاد، قليلا...)[2]

والحجاج في التراث العربي لديه جذور عميقة ويتجلى ذلك في الحياة العقائدية والسياسة وكذا في الخطابات في ضبط كثير من العلوم كعلم الكلام والفقه والأصول.

ويبرز الحجاج في القرآن الكريم بصفة خاصة حيث حجاجيا بامتياز يدحض كل المشككين في الدين الإسلامي، كما تميّز الفكر الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بأنّه كان تعليميا تعلميا فكانت الخطابات تتسم بالمجادلة والنقاش وتتنوع من التعليم والوعظ، والوعد، وقد استخدم الحجاج عند بعض الأعلام كالجاحظ، وابن وهب والسكاني، فالجاحظ الذي يعتبر مؤسس بلاغة الخطابية العربية استخدم الحجاج في كتابه(البيان والتبيين) واعتبر الغاية القصوى هي: «الخطاب الإقناع الشفوي وهو خطاب تقدم فيه الغاية (الإقناع على الوسيلة اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال.»[3] مّا ابن وهب فقد أورد الحجاج باسم الجدل في كتابه"البرهان في وجود البيان).

أمّا بالنسبة للدّراسات العربية المعاصرة للحجاج فقد عرفت جهودا متفرقة منها ما اعتمد على ما جاء في التصانيف الغربية ومنها محاولات للتأسيس لنظرية حجاجية عربية، ومن هذه الدّراسات كتاب بلاغة الخطابة العربية لمحمد العمري الذي حاول تطبيق نظرية الإقناع عند أرسطو على نماذج، من الخطابة العربية. ــ وكتاب (أصول

[1] ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، م س،ص21.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص27.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص448.

الحوار وتجديد علم الكلام) لطه عبد الرحمان الذي حاول فيه أن يزاوج بين القديم العربي والحديث الغربي، وكذا في كتابه (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) نجده بفرد بابا سمّاه (الخطيب والحجاج). إضافة إلى أعمال أبي بكر العزاوي والتي ضمنها رأيه المتمثل في أن الحجاج يعتمد اعتمادا كليا على اللغة بل إن الحجاج يوجد حيثما وجدت اللغة، بالإضافة إلى أعمال أخرى لباحثين لا تقل أهميتها عن سابقتها.

يمكن القول إذن إنّ الحجاج متعدد الأشكال والجوانب، ويتخذ أشكالا مختلفة في طريقة الإقناع .كما أنه يتضمن بنية خاصة تشمل مستويات مختلفة. وأساس الحجاج في منظور بعض الاتجاهات التداولية هو الحوارية وما تتطلبه من عمليات حجاجية تتنوع وتتباين تقنيا بتنوع أنماط التحاور و مراتب الحوارية وعلى هذا الأساس، فإن التداولية تركز على موضوع الحجاج لما له من أهمية، إذ أن هدف الخطاب، بالدرجة الأولى، هو التأثير في المتلقي . والتحليل التداولي للحجاج هو الكفيل بالكشف عن آليات هذا التأثير.

يعدّ كتاب الجامع الكبير في "صناعة المنظوم من الكلام والمنثور" من أعظم الكتب اللغوية في الموروث العربي، فالمتصفح لهذا الكتاب يجد نفسه أمام عدة مواضيع، منها ما هو نقدي، حيث قام بالرد على أبي سنان الخفاجي وتطرق فيه إلى نقد بعض العلماء كقدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري، ومنها ما هو أدبي يؤسس لآليات التأليف وطرقه، ومنها ما هو بلاغي، وذلك من خلال ذكر الفنون البلاغية التي يلجأ إليها المؤلفون، وكذلك من خلال التعرض لبعض القضايا البلاغية والتي أولاها اهتماما كبيرا في هذا الكتاب.

إن البلاغة تحتل مكانة مهمة في الدراسات التداولية وبخاصة في الدراسات الحجاجية، وقد اعترف رواد البلاغة الجديدة أمثال بيرلمان وتيتيكا بالدور الفعال للآليات البلاغية المختلفة كالاستعارة ، والكناية ، والتكرار...في الحجاج ، ومادام هذا الكتاب ردا على بعض العلماء كأبي محمد بن سنان الخفاجي ، فإنه من المنطقي أن يأخذ طابعا حجاجيا ، وعليه تبرز الإستراتيجية الحجاجية في هذا الكتاب باعتباره جدلا يتخذه صاحبه لتحقيق الغاية الإقناعية ، والتي تظهر في الألفاظ والأسلوب والتعريف وإيراد الدليل ...إلى جانب الآليات البلاغية والتي يمكن أن نعتبرها آليات حجاجية قادرة على استمالة القارئ وإمتاعه والتأثير فيه.

يعتبر كتاب ابن الأثير ردًا على عدد من اللغويين وبخاصة أبي محمد بن سنان الخفاجي، ولذلك يرتبط في مضمونه بالحجاج التقويمي بحيث سعى إلى الإقناع من خلال الدفاع عن قصديته بالحجج المختلفة ومن ذلك استخدامه للطرائق الاستدلالية التي تسهم في جعل الخطاب يتحقق تداوليا كفعل حجاجي ، وذلك لأن«توظيف المتكلم سبل استدلالية متنوعة تدل على خطاب المتكلم لا يكتسي صيغة الإكراه ، ومنهج القمع في إقناع متلقيه

،فتوظيف المتكلم للطرائق الاستدلالية المختلفة يجعل خطابه يتحقق في العالم الخارجي كفعل حجاجي أي من اللغة إلى التداول. »[1] وقد عمد ابن الأثير إلى إيراد الحجج التي من الممكن أن يعارضه بها المتلقي، و ذلك في شكل محاورة افتراضية بين حججه وحجج خصمه ويسعى للإجابة عنها وبذلك يدفع الشك ويشرك المتلقي في العملية الإقناعية .

يظهر الحجاج التقويمي في كتاب الجامع الكبير من خلال العبارات التي يستعملها في كلامه ، والتي تحمل المتلقي على الإذعان لما يقوله المتكلم ومن ذلك: -فإن قلت، ألا ترى ، لو كلفت نفسك ، قيل لك ، وقد قال ، فلا أجد ، إذا نظرت ، متى جشمت ، الجواب عن ذلك ، وفي ذلك كفاية ، وهو غير مناسب، وأعجب مما سمعتُ فلو ذهبت، ومثال ذلك:

-في النوع الرابع في الإيجاز وهو حذف زيادات الكلام في قوله: «اعلم أنه لما قيل :"هدى للمتقين" بأن الكتاب لهم هُدى فاتجه للسائل أن يقول:" ما بالهم خصّوا بذلك؟..." وفي نفس النوع نجد لفظة (جعلت) في قوله:و إن جعلتَ قوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (البقرة: 03) **إلى** آخر قوله: " وبالآخرة هم يوقنون" تابعا للمتقين ، وقع الاستئناف على أولئك...»[2]

-وأيضا في قوله:«ألا ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف جزءًا من أجزائه لما قدرت على ذلك...»[3]

-وفي النوع الخامس عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى نجد "قيل" في قوله: «فإن قيل إنّ (فعيلا) جاء اسما للفاعل المتعدي فعله على غير وزن(فَعُلَ) نحو خطب فهو خطيب... قلنا هذا الذي أشرت إليه ...إلّا أنّ ذلك...»[4]

ومن ملامح الحجاج التقويمي أيضا في خطاب ابن الأثير ، استعماله لفعل الأمر الذي يعد أسلوبا حجاجيا وذلك لما يوفره من طاقةٌ إقناعية ، تجعل المتكلم يستخدم سلطة القول الموصول للوصول إلى الإذعان والتأثير في المتلقي. ومن بين الأفعال المستخدمة: "اعْلَمْ ، انظر، تدبّر ، تصفّح ، اعرف، قس عليه، افهم..."يقول ابن الأثير في القطب الأول في الفصاحة والبلاغة: " اعْلَمْ أنّ هذا الباب غامض متعذرٌ على الوالج، ومسلك

[1] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، م س ،ص37.
[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص138.
[3] المرجع نفسه، ص142.
[4] المرجع نفسه، ص195.

وعر، مستصعبٌ على الناهج ، ولم يزل الناس من قديم الوقت وهَلُمَ جرًا يتهافتون على الخوض فيه ، والغوص عليه وهم مع كثرة طلبهم لمعرفته، وتوفر حرصهم على الإحاطة به لا يظفرون منه إلّا كنغبة طائر أو قطرة من بحر زاخر"." وقال أيضا:«واعلم أنّ الفصاحة أمرا إضافي كالحسن والقبح...»[1]

ويقول في الباب الأول في الصناعة المعنوية: «... ولأنّ المعاني أشرف من الألفاظ وأعلى محلا. فاعرف ذلك". ويقول أيضا: "ومن له أدنى تشبُّث بهذه الصناعة يعلم الفضيلة بين ما تضمنه هذا البيت من الاستعارة وبين إظهاره إلى التشبيه. فاعرف ذلك وقس عليه" ويقول أيضا:" فانظر أيها المتأمل لهذا الاستعارة...»

ويقول في القسم الخامس من النوع الثالث في التقديم والتأخير:«الذي عليه مدار المعول، فيما نورده من المجمل والمفصل هو البحث عن أسرار البلاغة والإبانة عن الشيء الذي به يشرف الكلام، وتحصل له المزية مع سواه، فتدبر ذلك وقس عليه».[2]

اعتمد ابن الأثير في خطابه على صيغة الأمر والمتمثلة في أفعال الأمر التي أشرنا إليها ، وكثيرا ما كان يبدأ كلامه بقوله" اعلم" وذلك يزيد في القوة الحجاجية إذ يطلب من المتلقي (فعلا) على وجه الإلزام يجعله يقتنع تلقائيا بما يرمي إليه.

ويظهر كلام ابن الأثير خطاباً حجاجيا يسعى فيه المؤلف إلى تحقيق هدفه وإيصال مراده بأساليب مختلفة كالاستفهام، وإيراد تعريفات وأمثلة للقضية التي يكون فيها جدل واختلاف وتقديم حجج متعددة ومتتالية ومتدرجة ومستشهدا بالقرآن الكريم ، والشعر، وكلام العرب ، وإعطاء رأيه بشكل يجعل فيه المتلقي يسلم بما يقوله ولا يدع له مجالا للشك ليصل إلى استمالة المتلقي والتأثير عليه.

ولنأخذ مثالا في " الاستفهام" في النوع الأول من الباب الأول وهو الاستعارة في قوله: «ألا ترى أنك لو كلفت نفسك أن تظهر التشبيه، وتفصح به احتجت إلى أن تقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان، لطالب الحسن، شبّه العنّاب من أطرافها المخضولة؟» [3] فهذه المحاورة والمنافسة التي صاغها ابن الأثير في طرح تساؤل وجدل أسهمت في إيصال فكرة المتكلم، إذ أنّ طرح السؤال يجبر على فتح المحاورة ويلزم المتكلم إيجاد

[1] المرجع السابق ، ص76-77.
[2] المرجع نفسه ، ص82-84.
[3] المرجع نفسه، ص84.

إجابات وتساؤلات ، وبالتالي تكثر الحجج المؤيدة و الحجج المضادة على المساءلة ويكثر الأخذ والردّ حتى يقنع أحدهما الآخر."[1] فالاستفهام" ألا ترى..." حجة تدعم رأي ابن الأثير الذي يبيّن فيه أن أبلغ الاستعارات ما ناب التشبيه منابها.

وفي القسم الثالث من التشبيه " وهو التشبيه المفرد بالمركب " نجد قوله :ألا ترى إلى ذي الرمة ، كيف جعل الأصل فرعًا والفرع أصلاً ؟ فهذا الاستفهام لا يُراد به طلب معرفة شيء ما» وإنّما أورده ليؤكد على رأيه ويضعف حجة خصمه وذلك بإدخال المتلقي في العملية التحاورية وجعله يقتنع بما يقوله المتكلم.

وفي "الالتفات" نجد قوله: «ألا ترى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة ؟ " فهذا استفهام على شكل حجة أوردها ابن الأثير لاستدراج المتلقي من خلال الحجج ويقنعه بقوله، حيث أردف هذه الحجة بحجة أخرى في قوله: "وإنما فعل ذلك لفائدة وهو أنّه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبّهم منها، كالمخير لهم ، ويستدعي منهم الإنكار عليهم و التقبيح.»[2]

فالحجة الثانية المؤكدة برابط التأكيد "إنّ" متصلة بالحجة الأولى الواردة في شكل استفهام، ولهذا فإن ابن الأثير يبني جسر محاورة حجاجية بينه وبين المتلقي ويشركه داخل العملية التواصلية وهذا يسهم بشكل كبير في تقريب المعنى إلى المخاطب، و دَرْإ أيّ رأي من شأنه أن يحدث خللا في إيصال الفكرة له.

اعتمد ابن الأثير على إعطاء تعريفات عدة للقضية الواحدة ،كما تميزت خطاباته بالتكرار حيث يكرر رأيه لعدة مرات وهذا ليثير المتلقي ويقنعه بما يرمي إليه من خلال إعادة الرأي والتوسع فيه تدريجيا ، ويتخلل ذلك شواهد من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب وهذا الطابع العام الذي يميز كتاب ابن الأثير إذ لا تجد قضيته تعرض لها إلّا وضمنها محاورة وحججا وتعريفات وشواهد ، وما يصحب كل هذا من تكرار لفظي ومعنوي وهذا ما يحقق الغرض الذي يريد ابن الأثير تحقيقه من عرضه لقضايا هذا الكتاب.

استعمل ابن الأثير في كتابه "الجامع الكبير" مصطلح الحجة ،كما استعمل مصطلحي "الدليل" و" البرهان" واعتبرهما مرادفين للحجة ، وسنبيّن ذلك من خلال عرض بعض المواضع التي وردت فيها. وذلك في:

[1] ينظر،عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص484.

[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص100.

- ❖ الباب الأول في الصناعة اللفظية في قوله: "...و لنضرب له الأمثلة يستدل بها عليه.."
- ❖ وفي النوع الثاني وهو التشبيه" في قوله: "...وإذا جاء التشبيه بغير أداته كان أبلغ ، والدليل على ذلك قولنا: زيد أسد..."
- ❖ وفي القسم الرابع من النوع الثالث في " الحمل على المعنى" في قوله: "وأما تأخيره فإنّه يقصد به النفي أصلا من غير تفضيل وسيأتي بيان ذلك عند ذكر الأمثلة الدّالة عليه"
- ❖ وفي النوع السابع من الباب الأول وهو " الكناية والتعويض" ولا يأتي ببرهان يحاج به من يخاصمه، وذلك ضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال"
- ❖ وفي النوع السابع في التعريض نجد قوله: "...وغرض إبراهيم صلوات الله من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم..."

ولهذا فإن ابن الأثير أشار إلى استخدامه للحجج بذكره للفظ الحجة أو بكلمة "دليل" أو "برهان" حيث يعتمد المتكلم حججا مختلفة يستدل بها لإقناع المتلقي والتأثير فيه.

تعرض ابن الأثير في كتابه" الجامع الكبير إلى أشكال بلاغية مختلفة والتي يمكن أن نعتبرها آليات حجاجية تعمل على استمالة القارئ والتأثير فيه ويتجلى الحجاج في هذا الكتاب في :

3-الألفاظ:

إنّ للألفاظ أهمية في التأثير على المتلقي واستمالته ولذلك فالمتكلم يختار كلماته بعناية إذ «للكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صيغة حجاجية وترشحها لأن تكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية ، وإنّ لها في الخطاب بناء على تلك الخصائص حركة تقصي فيها غيرها وتعوضه وتحل محله ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع.»[1]

فاختيار اللفظة في أي خطاب يكون انتقائيا يعتمد فيه المتكلم شروطا لتحقيق الغاية الإقناعية .

تتجلى ألفاظ الحجاج في كتاب الجامع الكبير في شكل كلمات تحمل المتلقي على الاستماع والإذعان لما يقوله المتكلم حيث تطرق في القسم الأول إلى الألفاظ المفردة، وذكر:

أوصاف اللفظة المفردة التي تستحق بها ميزة الحسن والجودة.

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس، كلية الأدب، 2001،ص75.

صناعة تركيب الألفاظ.

كما ذكر قضية اختلاف صيغ الألفاظ في الباب الثاني من الفن الثاني من القطب الثاني المعنون بالصّناعة المعنوية، حيث يرى أنّ الألفاظ بنقلها من أسلوب إلى أسلوب كنقلها من الواحد إلى الجمع أو إلى التثنية أو إلى التأنيث أو إلى غير ذلك انتقل حسنها وصار قبحا وصار حسنا.

وقد مثل لذلك بالتاء التي تزاد في آخر الاسم للفرق في الصفة وذلك في قوله :«التاء التي تزاد في آخر الاسم للفرق في الصفة نحو: مقعد ومقعدة، ألا ترى إلى لفظة (مقعد) الدّالة على مكان الجلوس تجمع على مقاعد ولفظة (مقعدة) الدّالة على المحل المخصوص من الحيوان تجمع على مقاعد أيضًا» [1] وبيّن أنّ ورود لفظة (مقاعد) في الكلام إذ أريد بها جمع (مقعد) كان ورودها مستقبحا وذلك لمماثلتها لجمع مقعدة أما إذا وردت منفردة لم تستقبح و لم تستكره ومثال ذلك قوله تعالى﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**"﴾(القمر: 55) و لأجل ذلك جاءت لفظة مقاعد في القرآن الكريم مضافة إلى ما لا يحتمل معه الاستقباح.قال تعالى:﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ (آل عمران:121)، ويرى ابن الاثير أنّ إضافة مقاعد إلى القتال منع عنها الاستقباح.

يرى ابن الاثير أنّ الألفاظ تستعمل حسب موضوع الخطاب ولذلك تجد ألفاظًا تروقك في كلام ما وفي حين إنّها تثقل عليك وتستنكرها في كلام آخر ، يقول :" ترى بعض الألفاظ تروقك في كلام ما وتزداد بها إعجابا واستحسانا، ثم تراها في كلام آخر فتثقل عليك وتستكرهها وقد مثل ابن الاثير على ذلك بلفظة (الأخدع) التي وردت في بيتين مختلفين ففي بيت الصّمة بن عبد الله:

تلّفت نحو الحيّ حتّى كأنني وَجعتُ من الإصغاء(ليتا) وأخدع.

نجد اللفظة لائقة حسنة تتسم بالبهجة والخفة أمّا في قول أبي تمام:

يا دهر قوّم من أخدعيك فقط أضججت هذا الأنام من خرقك.

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص271.

ففي هذا البيت نجد اللفظة ثقيلة مستكرهة وتتسم بالثقل على النفس والكراهة ويرجع ابن الاثير سبب اختلاف اللفظة من حيث حسنها وقبحها إلى إختلاف الصيغة وإلى التركيب يقول:«وليس سبب ذلك إلّا ما أشرنا إليه من اختلاف الصيغة، ألا ترى أن لفظة " الأخدع" قد جاءت هاهنا موحدة و مثنَّاة، وهي حسنة في حالة الإنفراد مستكرهة في حالة التثنية، وقد يكون ذلك لأمر يرجع إلى التركيب لا إلى الألفاظ، وذلك أن يكون التركيب مختل النظام مضطرب الترتيب فتجيء ألفاظه عند ذلك مستكرهة مستثقلة لكونها واردة فيغير أماكنها وأنّ كانت من حيث انفرادها حسنة لائقة.»[1]

فالألفاظ تكتسي حسنها من صيغتها ومن تركيبها من حيث الأفراد والتثنية والنظام في الكلام، وبالتالي تسهم في تجسيد الفكرة التي يريد المتكلم، وبالتالي تسهم في تجسيد الفكرة التي يريد المتكلم إيصالها إلى المتلقي وهو ما يحقق الغاية الإقناعية.

4-الصور البيانية:

وقد ذكرها في الباب الأول " في الصناعة المعنوية" من الفن الثاني من القطب الثاني، وذلك لأنّ للصور البيانية دور كبير في الإقناع، إذا تعدّ من أقوى الوسائل الحجاجية بالنظر إلى دورها في إيصال فكرة المتكلم والتأثير في المتلقي، وهي كالآتي:

-الاستعارة:

إنّ الاستعارة من أهم الوسائل الحجاجية وذلك بالنظر إلى ما تحققه من نتائج إيجابية في إيصال فكرة المتكلم وإقناع المتلقي، يقول طه عبد الرحمن: «العلاقة الإستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج.»[2] ولهذا فهو يؤكد على دور الاستعارة في العملية الحجاجية إذ يلجأ المتكلم إليها لتحقيق أهدافه، فالاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، وهي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية.[3]

[1] المرجع السابق ، ص272.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص232-233.

[3] ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، م س ،ص108.

وقد عرّف ابن الاثير الاستعارة في " الجامع الكبير" بقوله:"وهو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره، وتجيء على اسم المشبه به وتجريه عليه كقولك: رأيتُ رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء" فتدع ذلك وتقول: "رأيتُ أسدًا" وهذا يكون على ضربين: أحدهما: أن تجعل المشبه هو المشبه به، بأن تنزله وتسقط ذكر المشبه من البين كقولك: "رأيتُ أسدا" والثاني بأن تجعل المشبه به خيرًا عن المشبه في باب الاستعارة؟ وهذا ما ذكره علماء اللغة أمثال قدامة والجاحظ و أبي هلال العسكري في مؤلفاتهم[1]. فالاستعارة تحقق الغرض الحجاجي الذي يسعى إليه المتكلم، وقد ذكر ابن الأثير هذا في قوله:«واعلم أنّه قد أجمع الجمهور من العلماء على أنّ الاستعارة مزية وفضلا على حقيقتها والسبب في ذلك أنّك إذا قلت:" رأيتُ أسدًا" كان لكلامك مزية، لا تكون إذا قلت : "رأيتُ رجلا هو الأسد سواء، في الشجاعة وقوة القلب، وشدة البطش، وليست المزية التي تثبتها لهذا الخنس على الكلام المتروك على ظاهره ، ولكنها في طريق إثباتك لها وتقريرك إياها معلومة من قرائن الأحوال .»[2]

فهو هنا يبيّن أنّ القول الاستعاري أقوى من حيث التأثير على القول العادي فذكرك التصريح بالتشبيه واكتفاؤك بقول استعاري له دور مهم في توضيح الفكرة وتقريبها إلى المتلقي ، إذ يلجأ المتكلم غلى الاستعارة ليقوّي طرحه ذلك إنّ الصفة المشتركة بين اللفظتين في القول الاستعاري تنقل المتلقي من دلالة إلى دلالة أخرى ، وهذا يسهم في فك الغموض وإظهار المعنى الخفّي.

وذكر ابن الأثير عدّة أمثلة في الاستعارة وبيّن قوّتها في الإقناع . من ذلك قوله تعالى:"﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾ (مريم: 04) فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل الاشتعال من لفظة " النار "التي تمثل الأصل إلى "الشيب" التي تمثل الفرع. أمّا المستعار منه فهو "النار" والاشتعال حقيقة، وأما المستعار به فهو الشيب و الاشتعال له مجاز . وهذا بقصد الإبانة فاستعمال لفظة الاشتعال للشيب يقوّي المعنى ويؤثر في المتلقي وذلك بنقل الاشتعال من الدّلالة على "النار" إلى الدلالة "الشيب" وهذا الاستخدام أقوى من القول العادي ويدل على الاحتياج إلى الولد فكان حجّة للإلحاح على دعاء النبيّ وبيان شدة احتياجه للولد.

[1] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص82.
[2] المرجع نفسه ،ص83.

ويرى ابن الأثير أنّ أبلغ الاستعارات ما ناب التشبيه منابها وكل ما زادت نية إخفاء التشبيه ازدادت الاستعارة حسنا ورونقا حتى إنّك تراها أعجب ما يكون، إذا كان الكلام ألف تأليفا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء يحطّ من درجته ويضع من قدره."

ومن الاستعارة أيضا قول أبي تمام:

صَعُبَت فراض الماء سيء خلقها فَتَعَلَمَت من حسن خلق الماء.

وبيّن حسن هذه الاستعارة وقوتها الحجاجية حيث جعل الخمر سيئة الخلق وذلك حيث لا تكون صرفا لا يستطاع شربها ولا يمكن إساغتها كالخلق السيئ الذي تعافه الأنفس وتستكرهه الأرواح،[1] وقوله :"حسن خلق الماء" أيضا غاية في الجودة لأنّ الماء الصافي في سلاسته و لطافة جوهره شبيه بالخلق السهل الطيّب".

ومن الاستعارات التي أوردها ابن الأثير قول بعضهم:

يا طودُ حلم ظلت معتصما بها يا بحر علم عمتُ في تياره.

إنّ عبارة طود وحلم توحي بالمناسبة الشديدة بين الطود والحلم فالطود أصلا، راسخ القواعد، لا يتحرك مكانه، كما أنّ الحلم أصله في وضع اللغة التأني والثبات وترك الإعجال بالعقوبة، من هنا استحسنت الاستعارة للمشابهة بينهما.[2] وكان القول أبلغ وأقوى تأثيرا في النفس وعليه فإنّ المتكلم يلجأ إلى القول الاستعارة لما تحمله من قوّة حجاجية تحمل المتلقي على الاقتناع بما يقصده المتكلم.

-التشبيه:

إنّ التشبيه يسهم في عملية الإقناع، والتشبيه هو «إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر.»[3] وقد عرّف ابن الاثير التشبيه بقوله:«وحدّه أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به» [4] وبيّن ابن الأثير حجاجيته التشبيه باعتباره قولا يبيّن المقصود ويدعم قول المتكلم بقوله:" واعلم أنّ فائدة التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود مع

[1] ينظر، المرجع السابق، ص86.
[2] ينظر، المرجع نفسه، ص86.
[3] عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، ط3 القاهرة، مصر،1992،ص37.
[4] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص90.

ما يكتسبه من فضيلة الإيجاز والاختصار والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا :" زيد أسدٌ" فإنّ الغرض من هذا القول أن نبيّن حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة ن وغير ذلك مما جرى هذا المجرى، إلّا أننا لم نجد شيئا سوى أننا جعلناه مشبها بالأسد، حيث كانت هذه الصفات مختصة به ومقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من قولنا: زيد شهم، شجاع، قوّي البطش، جريء الجنان. فإنّ التشبيه يكسب الكلام قوة حجاجية تمكن من إقناع السامع بما يرمي غيه المتكلم وتبيّن الغرض الذي يسعى إلى تحقيقه.

ويرى ابن الأثير أن التشبيه قسمان، قسم يكون فيه المشبه والمشبه به متفقين من جميع الجهات وقسم يكون فيه الاتفاق بين المشبه والمشبه من وجه واحد والتشبيه الأقوى عنده هو تشبيه شيئين مختلفين أحدهما بالآخر يقول: «فإن كان متفقين في جميع الجهات كالسوادين و البياضين فليس هذا من غرضنا إذا، كبير فائدة فيهن وإن كان اتفاقهما من وجه دون وجه فهما إذا مختلفان فيبقى كلامنا الآن على تشبيه شيئين مختلفين أحدهما بالآخر كقولنا:" زيد أسد". فإنّ غرضنا من هذا، أنّ تشبيه شهامة زيد وشجاعته وجرأته، لا أنّ زيد أسد من جميع الجهات، فإنا لو أردنا ذلك لكان هو ، هذا محال، لأنّ زيدا ليس أسدًا وإنما هو إنسان". أبلغ تشبيه هو ما كان من غير أداة لأنّه أشد موقعا في نفس المتلقي.»[1] ويرى ابن الأثير أنّ التشبيه ثلاثة أقسام إمّا تشبيه معنى بمعنى، أو تشبيه معنى بصورة، أو تشبيه صورة بصورة، فأمّا تشبيه معنى بمعنى فمثاله كالذي ذكرناه "زيد أسدٌ" وهذا تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى " ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**...﴾(النور: 39) حيث شبه مالا يدرك بالحاسة بما يدرك بها ، أمّا تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى:﴿**ولهُ الجوارُ المنشآت في البحر كالأعلام**﴾ (الرحمان: 24) حيث شبه صورة أجسام الفلك في كبرها وعظمها بالجبال.

وبيّن أن كل قسم من هذه الأقسام لا يخلو من ثلاثة أقسام أيضا وهي تشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب، وأعطى أمثلة لكل نوع ليصل إلى بيان أنّ التشبيه أقوى من حيث الإقناع على القول الذي يخلو من التشبيه.

-القسم الأول: تشبيه مفرد بمفرد كقول بكر بن النطاح:

بيضاء تسحبُ من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أَسحَمُ.

[1] ينظر، المرجع السابق ، ص91.

فكأنّها فيه نهار ســــــــــاطع وكأنّه ليل علـــــــيها مظيلمٌ.[1]

حيث يصف شعر المرأة بالطول فإذا قامت سحبته، وإذا أرسلته سكرها فتغيب فيه، وهو مع ذلك شديد السواد، وبذلك شبه بياضها كأنّه نهار ساطع يسطع من خلل الظلام، كما شبّه شعرها لشدة سواده بليل مظلم، وهذا أسهم في جعل المتلقي يشعر بالصورة التي أراد الشاعر أن يوصلها للمتلقي من خلال حسن هذه المرأة وجمالها. فكان بياضها كنهار يسطع وشعرها كليل مظلم ،وهذا القول أقوى في التأثير من قوله: بيضاء جميلة، شعرها طويل أسود". فالشاعر يهدف إلى بيان حالة الإعجاب الشديدة وكأنه لشدة إعجابه واندهاشه يجعل المرأة في إطلالتها كإطلالة النهار وسطوعه من بعد ظلام. وهذا يجعل المتلقي يتأثر بدعوى الشاعر ويقتنع بها.

-القسم الثاني: تشبيه المركب بالمركب. كقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنيا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ فاخْتَلَطَ فيه نَبَاتُ الأَرْض مِمَّا يأكُل النَّاس و الأنعام حتى إِذَا أَخَذَت الأرضُ زُخرفها وازيَنَت وظَنّ أَهْلُها أنّهم قَادرونَ عليها أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيلاً أو نهَارا فَجَعَلنَاهَا حَصِيدًا كَأن لمَ تَغن بالأمس**﴾ (يونس24) إذ شبّه حال الدّنيا في سرعة زوالها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال بصورة النبات في جفافه بعد ما زيّن الأرض والتف وتكاثف على الأرض، فهنا شبه معنى الزوال وعدم البقاء بصورة مرئية للنبات وهذا لتأكيد معنى الغناء وبيان زوال الحياة الدنيا وتحفيز المؤمنين على ضرورة العمل للدّار الآخرة .

وكذلك في قوله تعالى:﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي استَوقَدَ نَارًا فَلَمَا أَضَاءَت مَا حَوْلَهُم ذَهَبَ اللهُ بِنُورهم وتركَهُم في ظُلمات لَا يُبْصرون**﴾ (البقرة:17) فشبه المنافقين برجل أوقد نارا في ليلة مظلمة، فذهب عنه الخوف لما أضاء ما حولهن ثم طفئت ناره فبقي خائفا متحيرًا، وهذا يبرز لنا عقوبة النفاق فالمنافق إذ أظهر الإيمان يستنار دربه و يأمن على نفسه وماله وولده ولكنه يعود إلى الظلام والخوف والعذاب بعد انطفاء ناره يقول ابن الأثير:" وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار لها، واعتز بعزها، وآمن على نفسه وماله وولده. فإذا مات عاد إلى الخوف وبقي في العذاب والنقمة، وهذا التشبيه يبرز لنا عدم جدوى النفاق فكان التشبيه حجة قوية تبرز أهمية الإيمان من جهة وعقوبة المنافقين من جهة أخرى وجعل هذا بشكل مقنع لا نقاش فيه من خلال دور النور في الإحسان بالطمأنينة وانطفاء النور يوحي بالخوف وعدم الاستقرار وشدة العذاب .

[1] المرجع السابق ، ص92.

-القسم الثالث: تشبيه المفرد بالمركب وذلك كقول بعضهم

كأن السهى إنسان عين غريقة من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا.[1]

حيث شبه (السهى) بإنسان عين غريقة ولكثرة الدمع الذي يظهر كلما ذرفت دمعا وهذا التشبيه يجعل المتلقي يبني صورة للسهى ويوصله إلى الاقتناع بالمعنى المراد إليه الشاعر فاستعمال التشبيه حجة تهدف أساسا إلى استمالة المتلقي.

الكناية والتعريض:

تلعب الكناية دورا مهما في الحجاج، إذ يلجأ المتكلم إليها ليصل إلى إقناع المتلقي بما يهدف إليه من خلال إثبات المعنى بالتلميح وترك التصريح والكناية : «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي »[2]وذلك كقولك: فلانة نؤومة الضحى أي أنّها تعيش رفاهية وغير ملزومة في الأمر المعاش لأن وقت الضحى وقت سعي النساء العرب ولا يمنع من إرادة معنى النوم في الضحى من غير تأول.[3]

يرى ابن الأثير أنّ الكثير من العلماء يخلطون بين الكناية والتعريض، ولهذا حاول أن يميّز أحدهما عن الآخر فيعرّف الكناية بقوله:«أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له." ويعرّف التعريض بقوله:" هو أن تذكر شيئا يدل على شيء لم تذكره وأصله التلويح من عرض الشيء، أي من جانبه.»[4]

ولكي يفرق ابن الأثير بين الكناية والتعريض قام بذكر أقسامهما فالكناية تقوم على ضربين الأول يحسن استعماله (وهو المؤشر الأساسي في الإقناع) والثاني ما يقبح استعماله، وقد قسم الضرب الأول إلى أربعة أقسام:

-.القسم الأول: التمثيل: وهو تشبيه على سبيل الكناية يقول ابن الأثير: «وذلك أن تراد الإشارة إلى المعنى فتوضح ألفاظ تدل على معنى آخر، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه

[1] المرجع السابق، ص96.

[2] السيد أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، ط1، بيروت لبنان، 1999م، ص288.

[3] ينظر، جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص241.

[4] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص156-157.

والعبارة عنه.»[1] ففي قولك:" فلان نفي الثوب" يعني أنه منزه عن العيوب وبيّن الدور الحجاجي لهذا النوع من الكناية في قوله:"وللكلام بها فائدة لا تكون لو قصدت المعنى بلفظه الخاص وذلك يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه ، لأنه إذا صوّر نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى الرغبة عنه" ومثال ذلك قوله تعالى:﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات 12) ففي هذه الآية تمثيل للاغتياب بأكل لحم إنسان آخر، ولم يقتصر على هذا بل جعله لحم أخيه، ولم يقتصر على لحم الأخ بل جعله ميتًا ثم جعل ما هو الغاية هو الكراهة في القول، حيث يقتنع بها ويصل إلى كراهة الاغتياب وهو ذكر مثالب الناس وأعراضهم وهذا مشابه لأكل الإنسان لحم من يغتابه وما دام لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله جعله مشابها في استكراه الغيبة.

-القسم الثاني: من الكناية في الإرداف

وقد عرّف ابن الأثير الإرداف بقوله:«وأمّا الإرداف فهو أن تراد الإشارة إلى المعنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتي، لما هو دليل عليه ومرادف له:كقولنا:" فلان طويل النجاد" والمراد به طويل القامة ،إلّا أنّه لم يتلفظ بطول القامة الذي هو الغرض ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة» .[2]

ومن بين الأمثلة التي أوردها ابن الأثير في الإرداف، قول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح:" مثلي لا يفعل هذا" فهنا يثبت المعنى ويؤكد مقصده من خلال نفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسهن فهي كناية في شكل حجة تقنع المتلقي بنفي عن نفسه مادام نفاه عمن يماثله أو يشابهه.

-القسم الثالث من الكناية وهو المجاورة

يقول ابن الأثير:"وذلك أن يردف المؤلف ذكر شيء فيترك ذكره جانبا إلى ما جاوره، فيقتصر عليهن اكتفت بدلالته على المعنى المقصود." وهذا كقول عنترة:

وشككت بالرمح الأصّم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّم.[3]

[1] المرجع السابق ، ص157.
[2] المرجع نفسه ، ص160.
[3] المرجع نفسه ، ص164.

فهنا أراد بالثياب نفسه لأنه وصف المشكوك بالكرم، ولا توصف الثياب به فكان هذا الاستخدام حجة يثبت بها ما أراد أن تشتمل عليه الثياب فيقتنع المتلقي بأن الكريم ليس يمنعه من أن يقتل بالقنا فما عليه ذلك بحرام.

ويؤكد ابن الأثير على القيمة الحجاجية لهذه الكناية بقوله تعالى:«ثبُت حينئذٍ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب، وفي ذلك من الحسن مالا ينكره العارف لهذه الصناعة» [1]

-القسم الرابع في الكناية ما ليس بتمثيل ولا إرداف ولا مجاورة ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ (الزخرف18) فكنى عن النساء أنهم يتزينون في الحلية أي الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى المجاورة الخصوم كان غير مبيّن ولا يأتي ببرهان يحاج به من يخاصمه بل إنّه ليس عنده بيان وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال.

وأمّا الضربُ الثاني من الكناية" فهو الذي يقبح ذكره ولا يحسن استعماله" ومثال ذلك قول أبي الطبيب المتنبي:

إنّي على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها. [2]

فهذه الكناية عن النزاهة والعفة وهي حجة أراد بها الشاعر إقناع المتلقي في قوله:" لأعف عما في سراويلاتها" ولكنها من رديء الكنايات ونفس المعنى يبرز في قول الشريف الرضي في قالب عجيب وصورة جميلة تقنع المتلقي بالمعنى المراد بشكل لا يقبل اللبس فيه ذلك في قوله:

أحنّ إلي ما تضمن الخُمر والحلي وأصدق عمّا في ضمان المآزر.

فهو كنّى في نزاهته وصاغ حجته بشكلٍ حسنٍ يَستميلُ القارئ ويجعله يقتنع لما يريده، وقد أكد ابن الأثير على حسن الكناية ودورها في عملية الإقناع فكلّما كانت الكناية جيدة كانت أقرب إلى ذهن السامع والعكس

[1] المرجع السابق ، ص164.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص166.

صحيح،"يقول ابن الأثير "ألا ترى إلى هذه الكناية ما ألطفها، والمعنيان سواء، وبهذا تعلم فضل الشاعرين أحدهما الآخر، وذلك إذا أخذا معنى واحدًا فصاغه أحدهما في صياغة مفردة عن صياغة الآخر.[1]

وأمّا **التعريض**: فقد ذكر فيه ابن الأثير أمثلة كثيرة منها :قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ (الأنبياء: 62)

فبعد أن سأل القوم النبي إبراهيم عليه السلام "هل أن فعلت بآلهتنا" أعطاهم تعريضا هو حجة "فاسألوهم إن كانوا ينطقون"، وذلك على سبيل الاستهزاء بهم، وليقنع قومه بعدم جدوى عبادة الأصنام التي لا تملك نفعا ولا ضرا والتي لا يمكن حتى أن تدافع عن نفسها فتنطق وتشير إلى من كسرها ، فقصد إبراهيم عليه السلام لم يكن الفعل الصادر على الصنم ،وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها تعريضيا يبلغ فيه غرضه من إلزام الحجة علية وتبكيتهم والاستهزاء بهم." ومن أمثلة التعريض قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ (هود:27)

فبعد أن اختار الله النبّي نوحا عليه السلام ليحمل الرسالة ثار الكفار من قومه وجاؤوا بحجة على أحقيتهم بالنبوة منه في شكل تعريض وهي قوله تعالى:﴿ **ما نراك إلّا بشرا**﴾ قال ابن الأثير:" فقوله:"ما نراك إلا بشرا مثلنا تعريضا بأنهم أحق بالنبوة منه وان الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا: هب أنك واحد من الملء و مُوازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وما نرى لكم علينا من فضل**﴾

ومما ورد في التعريض قول الشيمذر الحارثي :

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافل.[2]

[1] ينظر، المرجع السابق، ص166.
[2] المرجع نفسه، ص168.

فهو لا يقصد الشعر وإما قصده هو تذكير هؤلاء الذين يخاطبهم لتلك الهزيمة التي وقعت لهم وان ذكر الشعر فهو تعريض وحجة يؤكد لهم عدم جدوى فخرهم بعد تلك الوقعة التي جرت لهم .يقول ابن الأثير: «فإنه ليس قصده الشعر بل قصدهم ما جرى بينهم بهذا الوضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلّا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر جعله تعريضا أي: لا تفخروا بعد تلك الوقعة التي جرت لنا ولكم لذلك المكان.»[1]

فالقارئ لا يمكنه أن يتوصل إلى قيمة التعريض الحجاجية إلا بالعودة إلي السياق الذي قيل فيه الكلام ولهذا فان الدور الحجاجي للتعريض يشترط فيه أن يكون المتكلم والمتلقي في سياق واحد.

الإطناب:

يعدّ الإطناب وسيلة حجاجية يلجأ إليها المتكلم لتوضيح المعنى، وتأكيده والزيادة في حضور هذا المعنى في ذهن المتلقي، فالإطناب ليس حشوا وإنما هو آلية تسهم في الإقناع من خلال شرح المتكلم لمراده وإثباته في ذهن السامع.

وقد اعتبر ابن الأثير الإطناب شديد الالتباس وبين أنه ليس ضد الإيجاز، وإنما ينبغي للمتكلم أن يعرف الحالات التي يستعمل فيها الإطناب إذا دعى المقام إليه ومثّل للمواضع التي يكون فيها الإطناب أمرا ضروريا بالكتب الصادرة عن السلطان في الأمور العظيمة في الفتوح والتفخيم في مواقع النعم المتجددة، أو في الترغيب في الطاعة، والتحذير من العصيان، ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة.

وبيّن ابن الأثير دور الإطناب وميّز بينه وبين التطويل في قوله: «اعلم أن الإطناب بلاغة، والتطويل عي، فإن الإطناب بمنزلة طريق بعيدة نزهة، تحتوي على زيادة فائدة، بما تأخذ النفس فسه اللذة ، والتطويل بمنزلة سلوك ما يبعد بما يقرب.»[2] وبهذا فإن المتكلم يعتمد الإطناب لتأكيد كلامه والتأثير في المتلقي من خلال ما يزيد على المعنى الأول.

[1] المرجع السابق ص169.

[2] المرجع نفسه، ص148.

ويؤكد ابن الأثير على دور الإطناب في الحجاج بقوله: «وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود، وإما حقيقة وإما مجازا. وهو على الحقيقة ضرب من ضروب التأكيد.»[1] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾(الأحزاب:04)ففي قوله: ﴿فِي جَوْفِهِ﴾يدل على زيادة تصور السامع للمدلول، وهو ما دام للإنسان قلب واحد فإنه لا يستطيع أن يجمع في قلبه بين شيئين

متضادين. يقول ابن الأثير: "الفائدة في قوله تعالى: ﴿فِي جَوْفِهِ﴾كالفائدة في قوله تعالى: ﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج:46) وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور للمدلول عليه، لأنه إذا سمع به صور نفسه جوفا يحتوي على قلبين."[2] فكان هذا حجة قوية على نفي أن تجتمع محبتين في قلب واحد.

في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل:

وبيَّن ابن الأثير في النوع السادس من الباب الأول من الفن الثاني في "توكيد الضمير المتصل بالمنفصل" أن هذا الاستعمال يقوي الحجج ويدعمها، ويعطي مثالا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾(الأعراف:115) فقد عمدوا إلى تخيير موسى عليه السلام في "يا موسى إما أن تلقي" وفي هذا حسن أدب راعوه لما يقتضيه حال المتناظرين في الجدال، فقالوا: "وإما أن نكون نحن الملقين." ولم يقولوا: "وإما أن نلقي" كما قالوا: "يا موسى إما أن تلقي" وهذا لرغبتهم في أن يلقوا قبله، وهذا الاستعمال حجة وضعها القوم للإلقاء قبله وهذا ما يوضحه استخدام الضمير المنفصل (نحن) مما أدى إلى فهم رغبة السحرة وتشوقهم للإلقاء قبله.

بيّن ابن الأثير دور توكيد الضمير المتصل بالمنفصل في الحجاج في قوله: «توكيد الضمير المتصل بالمنفصل إنما يرد في الكلام لتقرير المعنى المقصود وإثباته في النفس.»[3] فهذا التوكيد على المعنى يسهم في التأكيد على المعنى الذي يريده المتكلم ويقره في نفس المتلقي.

في التفسير بعد الإبهام:

---

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص151.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص154.

يعتمد المتكلم في كلامه على ظاهرة التفسير ليزيد في تعظيم خطابه وتفخيمه، ويقنع المتلقي بما يرمي إليه، وقد أكد بيرلمان على الدور الحجاجي بتفسير في قوله: «التفسير القويّ هو كأمر معطى يمكن أن يعتبر كصورة حجاجية أو كصورة أسلوبية وذلك حسب الأثر المنتج على المتلقي فإذا حصل اقتناع بهذا التفسير فهي صورة حجاجية، أما إذا كان التفسير مقتصرا على الجانب التزييني فهي صورة أسلوبية.»[1]

يرتبط الإقناع بالتفسير ارتباطا وثيقا إذ يسعى المتكلم من خلال تفسيره لفكرته إلى التأثير في المتلقي، وقد تناول ابن الأثير هذه الآلية الحجاجية في النوع التاسع في "التفسير بعد الإبهام" فأعطى مجموعة من الأمثلة وبيّن من خلالها إسهام ظاهرة التفسير بعد الإبهام في إقناع القارئ.

ومن بين الأمثلة في التفسير بعد الإبهام قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**﴾(الحجر:66) ففسّر "ذلك الأمر" بقوله: "دابر هؤلاء مقطوع" وهذا التفسير الذي وقع بعد إبهام يسهم في تفخيم الأمر وتعظيم شأنه فالإبهام يوقع السامع في حيرة وتشوق إلى معرفة التفسير، ليأتي التفسير حجة يقتنع بها. وما يؤكِّد على هذا قول ابن الأثير: " وفي إبهامه أولا، وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر، وتعظيم لشأنه، فإنه لو قال تعالى: ﴿**وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع**﴾ لما كان بهذه المثابة من الفخامة فإن الإبهام أولا يوقع السامع في حيرة وتفكر، واستعظام لما فرغ سمعه، وتشوق إلى معرفة كنهه والاطلاع على حقيقته.[2]

ومن الأمثلة في التفسير أيضا قوله تعالى:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ (الفاتحة: 6-7) ففي قوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ يقف السامع فيه وقفة حائر لأنه لا يدرك أي صراط مستقيم، ويتشوق لإزالة هذا الإبهام، فبقوله: صراط الذين أنعمت عليهم" تفسير للإبهام فيفك به الغموض وتتوضح الفكرة ويقتنع أن الصراط المستقيم المقصود في هذه الآية هو صراط المؤمنين. يقول ابن الأثير: "وإنما قال ذلك، ولم يقل: "اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم" لما في الأول من التنبيه والإشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمن، فدل عليه بأبلغ وجه، كما تقول: "هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟، ثم تقول: فلان، فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: "هل أدلك على فلان

[1] Chaim Perlman et Lucie olberchts Tyteca, Traité de l'argumentationla nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer,5ème édition, édition de l'université de bruxelles.p233.

[2] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص172.

الأكرم الأفضل لأنك تثبت ذكره مجملا ومفصلا، فجعلته علما في الكرم والفضل، كأنك قلت: من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان.[1]

وما يدخل في التفسير بعد الإبهام أيضا الابتداء بذكر الضمير ثم الإفصاح بذكر صاحبه بعده، كقوله تعالى ﴿**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ (يونس:61) يظهر الإبهام في الضمير (منه) في قوله: ﴿**وما تتلو منه**﴾ ليأتي تفسيره بعد ذلك بكلمة (القرآن) وهذا يحمل فخامة تحمل المتلقي التعجب والتشوق لمعرفة التفسير ومن ثم الاقتناع بعد أن يتوضح ما كان مبهما.

في التعقيب المصدري:

يعدّ التعقيب المصدري من أهم العناصر الحجاجية لأنه يرسخ القول، يقول ابن الأثير: «وإنما يعمد إلى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمه، والإشعار بتعظيم شأنه أو بالضد من ذلك.»[2] ومثال ذلك قوله تعالى:﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ، وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ، مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ، وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل: 87-90) فهنا تعقيب بعد ذكر الآيات التي تعد حججا متتالية حيث:

ح1:ويوم ينفخ في الصور.

ح2:ففزع من في السماوات ومن في الأرض.

ح3:كل أتوه داخرين.

[1] ينظر، المرجع السابق ، ص171.
[2] المرجع نفسه، ص175.

ح4:وترى الجبال...وهي تمر مر السحاب.

ن: صنع الله.

فقدرة الله تتجلى من خلال النفخ في الصور، وإحياء الموتى والفزع، ومجيء الناس للحساب، ومسير الجبال كأنها سحاب في سرعتها تعد حججا قوية، وقد عقب عليها ب(صنع الله) وهذا للتأكيد على أن هذا الأمر من صنع الله، وبيّن أن الله سيجازي المحسنين ويعاقب المجرمين، ويرى ابن الأثير أن التعقيب المصدري يسهم في عملية الإقناع يقول: «فانظر أيها المتأمل إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماره، ورصانة تفسيره، وأخذ بعض برقاب بعض، كأنما أفرغ إفراغا واحدا، ولأمر ما أعجز القوي وأخرس الشقاشق.»[1]

في التقديم والتأخير:

وقد بيّن ابن الأثير الحالات والمواضع التي تفرض هذا التقديم، وهي حالات يتطلبها الخطاب الحجاجي للمتكلم حيث يتقدم السبب على المسبب، كقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(الفاتحة: 05)فهو هنا قدم العبادة على الاستعانة لإبراز إجلال العبودية لله والتضرع له، ومن ثم تسهيل الحصول على المطلوب.

ومن هذا النوع تقديم الأكثر على الأقل، كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾ (فاطر:32) فقدم الظالم لنفسه للإيذان على بكثرته، ثم أتى بعده بالمتصدقين وأخر السابقين، فقد قدم الأكثر وهو الظالم نفسه، ثم جاء بالأوسط (المتصدقين)ن ثم السابقين بالخيرات، ويمكن أن نرتب هذه الحجج وفق السلم الحجاجي التالي:

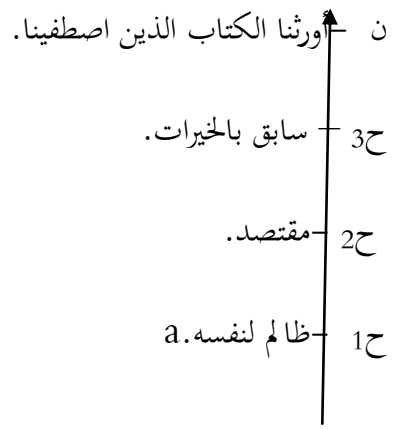

[1] المرجع السابق، ص175-176.

ويرى ابن الأثير أن المتكلم يقدم الشيء الذي يريد أن يضعه في المرتبة الأولى في ذهن المتلقي أمّا إذا كان الشيئان أحدهما كثير، و آخر أقل منه، وكان الأقل أفضل من الأكثر فَ'ن للمتكلم الخيار في تقديم الكثير أو القليل.

ومن هذا النحو أيضا قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(النور: 45) وفي هذا تقديم الماشي على بطنه لأنه أجل على القدرة من الماشي على رجلين، والماشي على رجلين أدل على القدرة من الماشي على أربع، وهنا يمكن أن نبين هذه الحجج وفق السلم الحجاجي الآتي:

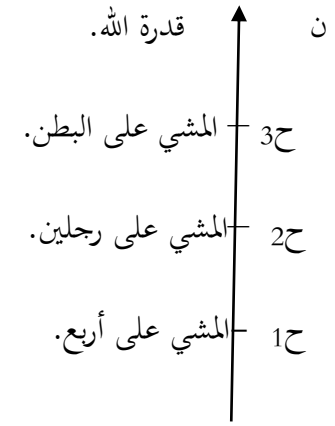

يظهر من خلال هذا السلم الحجاجي أن المشي على أربع حجة قوية تبرز قدرة الله التي لا حدود لها وتلي هذه الحجة حجة أقوى منها وهي المشي على رجلين وتليها حجة أقوى وهي المشي على البطن، وهذه الحجج أتت متتالية ومتدرجة من حيث القوة، وكلها تخدم النتيجة المذكورة في الآية وهي "قدرة الله".

في عطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده:

ولهذا النوع من الاستخدام اللغوي للكلام قيمة حجاجية يقول ابن الأثير: «وهذا إنما يعمد إليه لفائدة وهي إما تعظيم حال المعطوف عليهن والتفخيم من شأنه، وإما ضد ذلك ونقيضه.»[1] فالمتكلم يعتمد على هذا النوع ليصل إلى مراده ويؤثر في المتلقي، ويذكر ابن الأثير على هذا ومنها قولك:"ولما تلاقينا وبنو تميم، اقبلوا إلينا يوفضون وابتدروا نحونا يركضون. وجاؤوا كأنهم في تكاثفهم ليل، وفي سرعتهم سيل، فرأينا منهم أسودا في المقاتلة ، وثعالب المخادعة والمخاتلة،وتناجد بنو تميم علينا بحملة، فلذنا بالفرار واستبقنا إلى تولية الأدبار" ففي قولك:

[1] المرجع السابق، ص179.

"وتناجد بنو تميم" حجة قوية توحي بالتعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدتهم وما يقوي هذا الطرح هو قولك: "لذنا بالفرار" فتصريحك بذكرهم في "وتناجد بنو تميم" وعدم قولك: "وتناجدوا"، كما قلت: "أقبلوا" و "ابتدروا" و"جاؤوا". يقول ابن الأثير: «للدلالة على التعجب من شجاعتهم والتعظيم لشدتهم وإقدامهم ولاسيما قد أضفت إلى ذلك قولك: "لذنا بالفرار" و "استبقنا إلى تولية الأدبار" فكأنك قلت: "وتناجد أولئك الفرسان المشاهير، والكماة المذكورين وحملوا علينا حملة واحدة، فولينا مدبرين منهزمين.»[1]

في الحروف العاطفة والجارة:

تعد حروف الجر وحروف العطف روابط حجاجية تسهم في ربط وانسجام الخطاب، وقد أشرنا في الجانب النظري إلى أهميتها باعتبارها تمثل الوظيفة الأساسية في الإقناع وذلك بربطها بين البنيات الخطابية المختلفة، إذ أنه «هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين القضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب، ومن هذه الروابط غني عن القول: لكن، حتى، فضلا هن، وغيرها...»[2]

تناول ابن الأثير حروف العطف وحروف الجر باعتبارها روابط تسهم في إقناع المتلقي والتأثير فيه، فاهتم ببيان المواضع الصحيحة لهذه الحروف وذلك من أجل إيصال الفكرة التي يريدها المتكلم، يقول ابن الأثير: «وهو نوع ينبغي للمؤلف مراعاته والعناية به، لأن معانيه ودقائقه، لا يتنبه لها الفطن اللبيب...ولست أعني بإيرادها هنا ما ذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوفَ المعطوف عليه في الإعراب، ولا أن الحروف الجارة تدخل عليه بل أمرا وراء ذلك.»[3] فهو يؤكد على ضرورة معرفة المواضع الصحيحة لكل حرف وذلك لخصوصية كل حرف واختلافه عن بقية الروابط يقول: «إن أكثر الناس يجعلون ما ينبغي أن يعطف بالواو معطوفا بالفاء، وما ينبغي أن يعطف بالفاء معطوفا بـ ثم، و كذلك يجعلون ما ينبغي أن يكون ب(على) ب(في) في حروف الجر وفي هذه الأشياء دقائق أذكرها لك أيها المتأمل لتعلم السر فيها.»[4]ولأجل بيان هذه المواضع يورد أمثلة في حروف العطف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾ (عبس:17-22)

[1] المرجع السابق، ص180.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص508.
[3] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص201.
[4] المرجع نفسه، ص201.

في هذا المثال جاءت حروف العطف مختلفة حيث استعملت الفاء في قوله تعالى: "فقدره" ولم يقل "ثم قدره" وذلك لأن وظيفة الفاء الجمع بين قضيتين غير متباعدتين، جاءت بين خلقه وتقديره فيخلق الإنسان ويتبعه التقدير، ولذلك عطفه بالفاء، وهذا بخلاف قوله: "ثم السبيل يسره" استخدام "ثم" هنا لأنها تفيد التراخي أي لجمع بين قضيتين متباعدتين وذلك لأن هناك زمنا بين خلقته وتقديره في بطن أمه، وبين إخراجه منها وعلى هذا جاء قوله تعالى: "ثم إذا شاء أنشره" لأن بين إخراجه من بطن أمه وبين موته زمنا وتراخيا وأيضا بين موته ونشوره تراخيا ولهذا كان العطف ب(ثم).

ومن الملاحظ أن هذه القضايا التي جاءت في الآيات السابقة تعتبر حججا متسلسلة ومترابطة

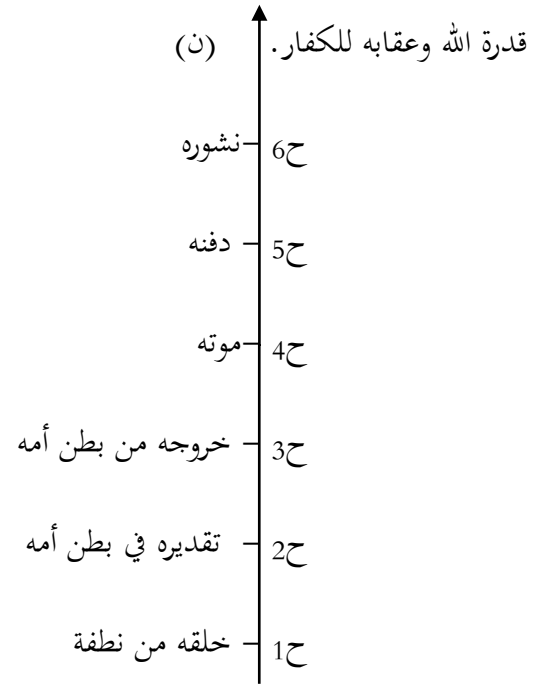

فهذه الحجج ترتبط ببعضها البعض لتحقق الانسجام، وكلها تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي قدرة الله على خلقه، ويظهر فيها ترتيب الحجج من الحجة الضعيفة وهي (خلق الإنسان من نطفة) إلى الحجة الأقوى وهي (نشوره) وإعادة إحيائه ونلاحظ الربط بين هذه الحجج بحروف العطف كان ب (الفاء) و (ثم) وذلك لما يتميز به كل منهما من خصوصية تجعله يكون مناسبا في موضع ما دون موضع آخر.

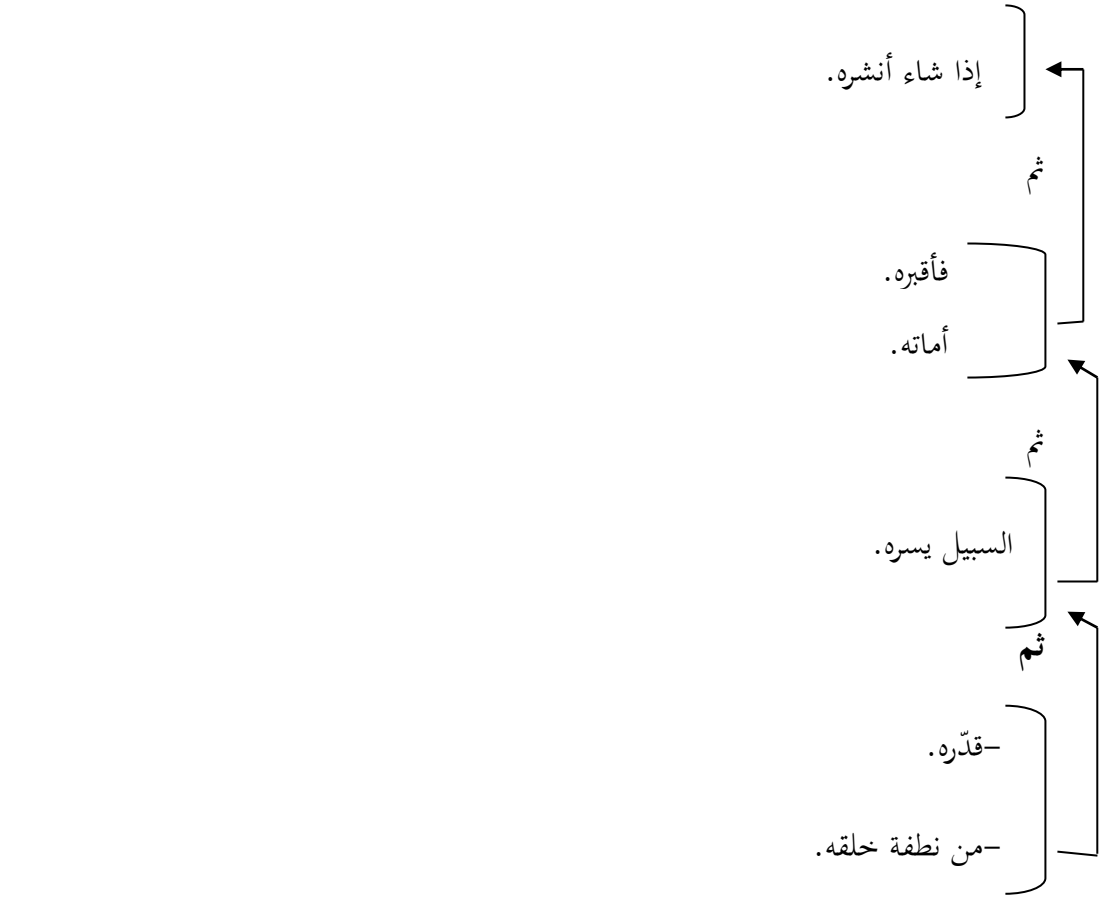

في هذا المخطط يظهر جليا الفرق بين حرفي العطف "الفاء" و "ثم" في كون الأولى تفيد عدم المباعدة بين الشيئين، في حين ن الثانية تقتضي أن يون بينهما تراخ ومهلة، فهذه الروابط البسيطة تمكن المتلقي من المعنى الصحيح وتقنعه به.

أما ما يتعلق بحروف الجر فقد أورد ابن الأثير أمثلة بيّن فيها المواضع الصحيحة لمثل هذه الروابط ودورها في الربط بين الحجج وتقويتها ، ذا استعملت في مواضعها المناسبة وحسب وظائفها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (سبأ:24) وهنا يظهر لنا أن الله تعالى يبيّن منزلة المؤمنين ومنزلة الكفار، وذلك باستعمال الحرف (على) في قوله: ﴿**لعلى هدى**﴾ وذلك لما يفيده الحرف على من الاستعلاء فالمؤمن كمن يمشي على مكان عال ومستقيم ويبصر من خلاله، واستعمل "في" في قوله تعالى: ﴿**في ضلال مبين**﴾ وذلك لأن "في" للوعاء فالكافر كمن يتخبط في ظلام لا يدرك الطريق الصحيح، فهذا الاستخدام أفاد بعلو منزلة المؤمن، وتدني منزلة الكافر، يقول ابن الأثير: «ألا ترى إلى بداعة هذا المعنى المقصود بمخالفة حرفي الجر هاهنا فإنه خولف بينهما في الدخول على الحق و الباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض حيث يشاء، وصاحب الضلال كأنه منغمس في

ضلاله مرتبك فيه فلا يدري أين يتوجه، وهذا معنى دقيق قلما يراعى في الكلام.»[1] وبهذا فإن هذه الحروف إذا استعملت في مكانها الصحيح فإنها تؤدي دورا مهما في إيصال المعنى الحقيقي، وهذا ما يفسر لجوء المتكلم إلى استعمال حروف دون أخرى في مواضع معينة، إذ كل حرف إذا استعمل في مكانه الملائم للمعنى المقصود فإن ذلك يزيد في إثبات المعنى، ويحقق الانسجام لما يقوله المتكلم، وهو ما يحقق الإقناع.

التكرار:

يعد التكرار عنصرا مهما من عناصر الحجاج، فالمتكلم لما يعيد كلامه يقصد إيصال فكرته بدرجة أقوى إلى المتلقي وترسيخها في ذهنه بشكل مقنع لا مجال للشك، وقد تناول ابن الأثير التكرار فميز بين نوعين من التكرار، فالأول ما يوجد في اللفظ والمعنى، والثاني ما يوجد في المعنى دون اللفظ، وكل نوع ينقسم إلى مفيد وغير مفيد.

يرى ابن الأثير أن التكرار المفيد هو الذي يحقق الإقناع ، فيكون توكيدا للكلام لبيان عظمة الشيء المكرّر ولفت المتلقي له، أما غير المفيد فيكون زائدا من غير حاجة إليه يقول:«فالمفيد يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على عظم محل الشيء، الذي كررت فيه كلامك، والإشعار بفخامة شأنه، وعلو قدره، أو الدلالة على حقارته والإعلام بهوانه واتضاعه، وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عبثا وخطلا من غير حاجة إليه.»[2]

ومن أمثلة التكرير المفيد في اللفظ والمعنى قوله تعالى:﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ (الأنفال: 7-8) يظهر التكرار في هذا المثال في قوله تعالى: "يحق الحق" و "ليحق الحق" وذلك من أجل بيان الاختلاف يقول ابن الأثير: "وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فهل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لغرض."[3] فتكرار هذه العبارة أسهم في فهم المعنى المقصود وأكد على التمايز بين الإرادتين. ومما ورد على هذا النحو قوله تعالى:﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ،وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ**

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص203.
[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص204.
[3] نظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

﴿دِينِ﴾(الكافرون) فقوله: (لا أعبد) يعني في المستقبل لا تطلبوا مني عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهين، و "لا أنا عابد ما عبدتم" أي: وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم وما أنتم عابدون فيما مضى من وقت في وقت ما أنا على عبادته الآن، وهذا التكرار يسهم في تحقيق الترابط والنمو، وفي انسجام الدلالة وتطورها وأمثلة ذلك كثيرة.

إن للتكرار أهمية كبيرة في إقناع المتلقي بما يرمي إليه المتكلم، يقول محمد مفتاح: «يقوم بدور كبير في الإقناع في الخطاب الشعري أو ما يشبهه من أنواع الخطابات الأخرى الإذاعية» [1] ويتبين ذلك من خلال الفرع الثني من الضرب الأول ، فإذا كان التكرار في الفرع الأول يدل على غرضين مختلفين فإن التكرار في الفرع الثاني يدل على معنى ويهدف إلى غرض واحد، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر:38-39) يظهر تكرار النداء (يا قوم) وذلك من أجل التأكيد على تنبيه القوم فالنداء الأول فالنداء الأول جاء ببيان المؤمن خوفا على قومه فدعاهم لاتباعه فكان بذلك تنبيها على ضرورة اتباعه وحجة عليهم، ثم جاء بالنداء مكررا (يا قوم) مبينا رغبته الشديدة في هدايتهم إلى سبيل الرشاد وخوفه عليهم، فهم قومه وهو يعلم وجه الخلاص ونصيحتهم واجبة عليه فهو يتلطف بهم يقول ابن الأثير: "وهذا من ا تكرار الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موقعا من الاختصار.[2] إذن أسهم تكرار النداء هنا في ربط الحجج، نبيّن ذلك فيما يلي:

ح1
- ح1: يا قوم اتبعوني
- ن2: أهدكم سبيل الرشاد.

ح2
- حَ1: يا قوم إنما هذه الحياة متاع.
- نَ2: الآخرة هي دار الفرار.

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 1992مص39.
[2] ينظر، ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص207.

ن ⌋ الهداية إلى الطريق الصحيح والفوز بالجنة.

تكرار (يا قوم) أسهم في تواصل الدلالة وزيادة القوة الحجاجية مما حقق اتساقا حجاجيا متكاملا.

أما الضرب الثاني من التكرار في اللفظ والمعنى وهو غير المفيد، فلا نجد القيمة الحجاجية إذن وجوده وعدمه سواء، ولذلك فإننا لم نتطرق إليه.

أما في القسم الثاني من التكرير وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ، وينقسم بدوره إلى ضربين: الأول مفيد، والثاني: غير مفيد، فإن ابن الأثير أورد فيه أمثلة وبيّن دوره في العملية الحجاجية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (النحل: 51) نلاحظ أن التكرار هنا كان بين "إله" و"واحد" وذلك للتأكيد على وحدانية الألوهية لله عز وجل، ويمكن أن نبيّن هذا التكرار في السلم الحجاجي الآتي:

الله واحد لا شريك له ← ن

ح2 | –واحد.

ح1 | – إله.

فقوله "إله" تدل على معدود وهو "واحد" وما يؤكد على هذا هو إثباته بكلمة "واحد" والتي تثبت وحدانية الله، وفي ذلك يقول ابن الأثير: «ألا ترى أنك لو قلت: "إنما هو إله" ولم تؤكده بواحد لم يحسن، وخيل إليك أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية، وهذا باب من تكرير المعاني وهر المسلك دقيق المغزى وبه تحل مشكلات التكرير» [1].

وبهذا فإن تكرار المعاني يسهم بشكل فعال في عملية الإقناع.

[1] المرجع السابق، ص210.

وقد ذكر ابن الأثير الضرب الثاني غير المفيد في تكرير المعنى دون اللفظ، وأورد فيه أمثلة بيّن من خلالها عدم وجود فائدة من هذا التكرار، ونظرا لعدم وجود غرض حجاجي في هذا الضرب من التكرير رأينا أن نتجاوزه، وعليه يمكن القول إن التكرار سواء كان لفظيا أو معنويا ، يسهم في إيصال مراد المتكلم ويظهر البعد الحجاجي للشيء المكرر ، مما يجعل المتلقي يقتنع ويصل إلى تقرير المراد في نفسيته.

المبحث الثاني : القصدية

يشتمل كل خطاب على قصد موجه من قبل المتكلم نحو المتلقين، وتختلف المقاصد بحسب السياق وظروف الخطاب، ونظرا لأهمية المقاصد في فهم فحوى الكلام أولاها الدارسون عناية كبيرة فلا تواصل بدون قصد، إذ يعبر المتكلم عن مقاصده باستراتيجيات تخدم أغراضه بمراعاة العناصر السياقية المختلفة، «وتكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب بما يناسب السياق بمجمله، فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره،»[1]

مفهوم القصد:

تعددت دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية فهو دال على عناصر ثلاثة:

م – دال على الإرادة.

ن – دال على معنى الخطاب.

ه – دال على هدف الخطاب.

أهمية المقاصد:

« للقصد دوره في تقنين مسارات النقاش والحجاج، بشرط أن يكون المرسل إليه قد فهمه كما يعنيه المرسل حيث يجب عليه ألا يتكلم إلا على المقصود من كلامه ولا يتعرض لما لا يقصده مما جرى من خلاله ، فإن الكلام على ما لم يقصده عدول عن الغرض المطلوب، إذ ينبني على القصد المستلزم من الخطاب السابق، ما يأتي بعده فيصبح هو أساس الخطاب التالي بين الطرفين، وبالتالي يتحتم اعتباره في مسار الحوار استراتيجية الإقناع مثلا أوف أيّ خطاب تناظري أو جدلي، وتنبع أهمية فهمه على أنه دون القصد ، لا يدرك المرسل إليه المعلومات على أنها إشارة من لدن المرسل، بل هي مؤشر».[2]

و هنا يتساءل" سيرل "عن الفارق بين شيئين لاعتبار أحدهما مادة للاتصال اللغوي بينما لا نعتبر الآخر كذلك، ثم يجيب أنّ هناك فرقا جوهريا وهو أن هيج بأن نفترض أنّ إنتاج المرسل كان وفقا لنوع معيّن من المقاصد، ليمكن اعتبار الصوت أو العلاقة المدونة على الورقة اتصالا لغويا أي رسالة، ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية اللغوية بين الدّال والمدلول بل يمتدّ إلى استعمالها في الخطاب لاحقا، إذ إنه بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به و استعماله فيما قرّرته المواضعة لأنّ فائدة هذه الأخيرة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا

[1]–عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص180.

[2] المرجع نفسه، ص187.

أن نأمر قصدناها، وفائدة القصد أن تعلق تلك العبارة بالمأمور وتؤثر في كونها أمرا له فالمواضعة تجري مجرى شحن السكين و تقويم الآلات، والقصد يجري مجرى استعمال الآلات.[1]

ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية اللغوية بين الدال والمدلول بل يمتد إلى استعمالها في الخطاب لاحقا إذ انه بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلم به واستعماله فيما قررته المواضعة ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة ولا يلزم على هذا أن تكون المواضعة لا تأثير لها لان فائدة المواضعة تمييز الصيغة التي متى أردنا مثلا أن نأمر قصدناها وفائدة القصد أن تتعلق تلك العبارة بالمأمور و تؤثر في كونه أمرا له فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكين وتقويم الآلات والقصد يجري مجرى استعمال الآلات.[2]

القصدية عند ابن الأثير:

إنّ كل خطاب ينتجه متكلم ما في مقام تواصلي لغوي ما ،حامل لمقاصده و رغباته ، فالأصل في الكلام : إنما هو كشف معانيه للمخاطب و إيضاحها له،[3] فلما ينتج المتكلم خطاباً فإنه يقصد بذلك تبليغ مراميه إلى مخاطبيه وإفهامهم إياها ، سواء أكان المخاطبون في واقع المتكلم أم في ذهنه، فهو يستعمل طاقته وكفاءته اللغوية، وأساليب الخطاب الموجودة في ذهنه ، والتي تجعله قادراً على التفنن في تبليغ مقاصده والإفصاح عنها ، باستعمالات مختلفة لفنون الكلام كالاستعارة والتشبيه والتقديم والتأخير والحذف...الخ.

وقد تناول ابن الأثير مصطلح القصد في مواضع كثيرة من كتابه فلا يكاد يخلو أيّ فن أو ضرب من كلمة القصد وما دار في فلكها أو اشتقاقاتها معرفة أو نكرة ، نذكر منها: الغرض، القصد، المعنى المندرج، المعنى المقصود، قصدناه، إيضاح المقصود، لفائدة ،كشف معانيه...المراد من هذا الكلام.

إن كتاب "الجامع الكبير" لابن الأثير، يعد خطاباً مقاصديا نابعا من ذاته كمتكلم وموجها للمخاطبين من متكلمين وسامعين، وقد أظهر هذا القصد من خلال استعماله لعديد الصيغ الصريحة، التي تدل على وجهة الخطاب لهم من ذلك نذكر : ضمير المخاطب "الكاف"، فاعرف ذلك وقس عليه، فانظر، اِعلم، فافهم، فإنك تعثر على صحة ما قلت، فتدبر ذلك وقس عليه،كما أريناك، وقس على نظائره وأمثاله... ،كما أشار إلى مقصديته من تأليف هذا الكتاب في قوله: "لَمَحْتُ في أثناء القرآن الكريم من هذا النحو أشياء طريفة، ووجدتُ

[1] ينظر، المرجع السابق، ص187.

[2] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص 149.

في مطاويه من هذا النوع نكتا دقيقة لطيفة، فعرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء وشرحُوها، والأصناف التي بينوها في تصانيفها وأوضحوها، فألفيتهم قد غفلوا عنها، ولم ينبهوا على شيء منها وكان ذلك باعثا على تصفح آيات القرآن العزيز والكشف عن سره المكنون، فاستخرجت منه حينئذً ثلاثين ضرباً من البيان، لم يَأتِ بها أحد من العلماء الأعيان، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن وعمدته، وخلاصة هذا العلم وزبدته، فحيث أحرزت هَذِهِ الفضيلة وحصلت عندي هذه العقيلة أحببت أن أفرد لها كتاباً وأفصّلها فيه أقساماً وأبواباً[1].

فالملاحظ في بداية القول أنّ منطلق القصدية في تأليف الكتاب كان القرآن الكريم ، فقد اشتغل ابن الأثير وغيره ممن سبقوه وعاصروه من اللغويين على دراسة و تفسير كتاب الله العزيز من هنا يتبين لنا مقصِدَهُ الرئيسي من وراء تأليف هذا الكتاب ، والمتمثل في استدراك ما غفل عنه علماء البلاغة السابقون من ضروب البيان ، حيث قام ببحث جديد في علوم عصره و من سبقه ، ثم عرض ما توصل إليه بعبقريته الفذة على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء، فكان هذا دافعا من دوافع تأليف الكتاب، وتفصيل أضرب علم البيان التي حصل عليها إلى أقسام وأبواب. كما أن معرفة المقاصد أمر «مرتبط بمعرفة ظروف النص الموضوعية ووضعية المتكلم ومكانته ووضعية المخاطبين ،ففهم الخلفيات المعرفية والظروف التي شكلت النص أو (الكلام) مفاتيح هامة لإدراك المعاني التي يكتنفها النص» [2] فلكل خطاب سياق إنتاجي معين ، يريد المتكلم عبره تبليغ مقاصد خاصة نابعة من أفكاره ومشاربه العلمية والثقافية.

لقد جاء سياق عصر ابن الأثير حافلا بالفتوحات والنزاعات السياسية، إذ يعد مضمارا خلفيا يتحرك ضمنه، وهو بذلك يرسم ملامح عصره في خطاب قصدي مشوب بالنقد أحيانا كثيرة ، فقد استعمل ابن الأثير "القصدية" لفظا ومعنى ،من خلال إيضاح مقصدية التواصل بين المتكلم والمخاطب المتمثلة في فهم الثاني لخطاب الأول والتأثر به.

وكما قلنا سابقا يظهر ابن الأثير متأثراً بظروف عصره ، وهو عصر يعج بالصراعات المذهبية و الإقتتال بين الدويلات الإسلامية ، فهو يظهر تفاعلاً معها حيث يندرج خطابه ضمن سياقات مختلفة أهمها السياق الإيديولوجي الذي تتجلى فيه الأفكار المذهبية ، والسياق الاجتماعي الذي له تأثير واضح في خطابه ، من خلال الأفكار التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، والقضايا اللغوية والفقهية التي تبنتها التيارات الكلامية ، و أدارت

[1] ينظر، المرجع السابق ، ص 34.

[2] محمد مفتاح، م س، ص58.

رحى المناقشات عليها، فتمخض عن جعجعتها المحمودة في مجملها تصوّرات إدراكية تأويلية لها ، توحدت مقاصدها في معظم أصول تلك القضايا أحيانا ، و تلامست وتعارضت في بعض فروعها أحيانا أخرى.

يرتبط خطاب ابن الأثير المتعلق بسياق عصره، والمتكلم، والسامع بمقصديته من وراء تأليف هذا الكتاب وتوضيح المسائل التي لم يتطرق إليها العلماء قبله والزلل الذي وقعوا فيه ، وهذا هو القصد الرئيسي لهذا المؤلّف، بالإضافة إلى المقاصد الفرعية والمتمثلة في الغرض التعليمي مثل قوله:«وحيث تكلمنا في التشبيه الجيد وبيناه، فينبغي أن نوضح التشبيه الرديء ليجتنبه مؤلف الكتاب» [1]وكذا في قوله:«إذا تأملها الناظر في كتابنا هذا» [2]، وكذلك قوله:«فانظر أيها المتأمل إلى بلاغة هذا الكلام» [3] وكذلك:«وفيه كفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة» [4] وكذلك:«فلنتبعها بما ينخرط في سلكها من الكلام على الجيد من الاستعارة» [5] والغرضين الحجاجي والتوجيهي "أنا نحن لم نستدل على أن الفصاحة" ، وكذلك قوله "إنما استدللنا على أن الفصاحة" ، وفي قوله أيضا: "سنح لنا في أثناءه دليل"، وكذلك قوله: هذا حكاية كلام أبي محمد بن سنان الخفاجي ولنا عليه اعتراض[6] وذلك من خلال تقديم آراء الخصوم الذين يريدُ مناقشتهم ، ودحض أقوالهم بالحجج الدّامغة ، مع تبيين مواطن الحسن فيما ذهبوا إليه ، وهذا دليل على اعتدال ابن الأثير وأدبه في التعامل مع خصومه ، ومقصده من ذلك هو عدم رغبته نسفَ ما وصل إليه من سبقه في العلم ، وإظهار محاسن مقاصدهم، بقدر رغبته في توجيهها وجهة علمية صحيحة مشفعة بالدليل ، ورغبة منه أيضا في عدم تنفير السامعين أو المتلقين لخطابه ، فكثرة الجدال من دون اعتدال ، تبعث على النفور من المتكلم حتى ولو كان صادقا فيما يقول ، كما أنّ فكرة المتلقي الضمني حاضرة في كامل خطابه ، بحيث لا يمكن أن نتصور متكلماً دون مخاطبٍ ، فهما كوجهي الورقة الواحدة.

والخطاب عند ابن الأثير متعدد متكامل المقاصد ، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل، على تعدد القضايا اللغوية التي أنتجها، وتعرّضه لبعضها ، وكفاءته في مناقشتها وتصويبها أيضا ، حيث يمكن الحصول على كل شحنة مقصدية جزئية ؛ من كل بنية خطابية في فنون لغوية قولية ؛ بحسب حاجة المتكلم بالدرجة الأولى إلى تبليغ

---

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص96.
[2] المرجع نفسه، ص172.
[3] المرجع نفسه ، ص175.
[4] المرجع نفسه، ص183.
[5] المرجع نفسه، ص84.
[6] ينظر، المرجع نفسه، ص78.

ما يرومه من المقاصد النابعة من المعاني النفسية ، وفق قواعد اللغة النحوية والدلالية ، والمحكومة بحسب معطيات السياق، المحمولة على كل الأساليب التبليغية ، و كذلك القدرة الفهمية التأويلية لدى المتلقي، ومدى تجاوبه مع الخطاب ، ومن هنا تظهر أهمية المقصدية في كل الأحوال التواصلية الجارية بين المتكلم والسامع ، إذ أنه لا تواصل بدون قصد و «لا وجود للتواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل ، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف العلامات» [1].

و أقصد بالخطاب المتكامل المقاصد ، والمتجسد في كلام ابن الأثير، أنّه قد قصد في كل فن من فنونه الخطابية ، شيئاً ما يخص العناصر التواصلية التداولية ،كالمتكلم والمخاطب والسياق... إضافة إلى تصحيح بعض المقاصد، أو ردها على قائليها ، وتغييرها بمقاصد أخرى أكثر دقة وعمقا ، مدعومة بالحجة الدامغة ، وكذلك بيانه لمقاصد جديدة من خطابات تواصلية أخرى حاز فيها على قصب السبق.

وقد هيأ لظهور مثل هذه المقاصد عوامل كثيرة، تمثلت في السياق الزمني ؛ الذي عاشه ابن الأثير من وجود تيارات فكرية متنامية العدد، متشعبة الفكر، إضافة إلى حركة التدوين والترجمة، من العربية إلى اللغات الأخرى أو العكس والصراع بين الدويلات الإسلامية ، مما أضفى مقاصد جديدة انعكست على الخطاب في ذلك العصر.

- في الفصاحة والبلاغة يقول: «وأيضا فإنّ أبا محمد بن سنان فقد ذكر في كتابه من جملة الأقسام الثمانية قسما وهو أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن معنى يكره ذكره ، فإذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قُبحَت» [2].

تتجلى المقصدية التوجيهية في خطاب ابن الأثير في رده المباشر والصريح على قول ابن سنان في الفصاحة والبلاغة : وجعل ما يختص باللفظة المفردة منقسما إلى ثمانية أقسام ،كتباعد مخارج الحروف ، و أن لا تكون الكلمة وحشية ولا متوعرة" حيث ردّ عليه جراء مخالفته قول العرب فيهما ، وقد أشار إلى تلك المقصدية بقوله: «ولنرجع إلى ما غرضنا ومهمنا من ذكر الفصاحة والبلاغة ، والكشف عن حقيقتها واختصاصها فنقول: اعلم أن أصل الفصاحة في وضع اللغة: الظهور والبيان... وإنما تسمي اللفظ فصيحا لأنه يبيّن المقصود ويوضح المعنى المندرج تحته» [3].

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، م س، ص 30.

[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص 78.

[3] المرجع نفسه، ص77.

من هنا فالقصدية عنده مرتبطة بفصاحة اللفظ ،كونها تُظهِر المقصود ، وإذا لم يتضح المعنى المندرج فهو ليس بفصيح، وهذا مظهر تداولي متمثل في وجوب وضوح الألفاظ المستعملة في الخطاب ، لكي تنجلي المقاصد ، وأما قوله في البلاغة: «فإن أصلها في وضع اللغة الوصول والانتهاء... واعلم أن البلاغة تعمّ الكلام مركبا لا مفرداً، وإنما كانت كذلك لأن المفرد لا يكون مفيداً وما ليس بمفيد فلا يسمى بليغاً» .[1] فمقصده من ذكر البلاغة يتصل اتصالا مباشراً بالإفادة ، أي إفادة السامع بمقاصد المتكلم ، وهذا ملمح تداولي.

وفي رده على ابن سنان الخفاجي حين قال:إن الفصاحة مقصورة عل وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للألفاظ مع المعاني". وبهذا يظهر قصد ابن سنان الخفاجي في حصره الفصاحة على وصف الألفاظ والبلاغة على وصف الألفاظ مع المعاني، وقد رد ابن الأثير على هذا بأن ابن سنان الخفاجي لم يورد دليلا وهذا مما يضعف قوله، حيث قال: "فلما وقفنا نحن على ما أومأ إليه سنح لنا في أثنائه دليل، وهو أن نقول قد ثبت لنا أن أصل الفصاحة في وضع اللغة الظهور والبيان، والفصيح هو الظاهر، وهو اسم فاعل من فصح مطرد في بابه، يقال: كَرُم فهو كريم" و"ظَرُف فهو ظريف" و"شَرُف فهو شريف" و"فَصُح فهو فصيح" وكذلك ما جرى هذا المجرى. فوزن فعيل هو اسم فاعل من "فعُل"، وهذه قاعدة مستقرة في ذلك".

وفي ذلك توجيه من طرف ابن الأثير، لقصدية ابن سنان من نظرته لاختصاص الفصاحة والبلاغة، وذلك عن طريق ذهابه مذهب من سبقه، وعدم مخالفته لهم، واستنانه بسننهم، كونهم أجادوا ووفوا بالمقصود، في تعريف كل منهما، وذكر اختصاصهما، فهي إذن تظهر دائما في ممارسة المتكلم لها عن طريق توجيه خطابه الفصيح البليغ نحو السامع، والأثر الذي يتركه ذلك الخطاب.

وقد تجلّت القصدية عند ابن الأثير أيضا، في الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني، أو معاني المعاني، عن طريق استخدام كل ما يمكن إدراكه بالعقل، من وسائل وأساليب بيانيه خطابية، وربطها بالمقاصد التبليغية، وقد وظفها ابن الأثير باعتباره متكلما منتجا للخطاب، في أول أنواع البيان وهو الإستعارة حيث قال: «وهو أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع الإفصاح بالتشبيه وإظهاره، وتجيء على اِسم المشبه به وتجريه عليه" كقولك "رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء" فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدًا»[2].

[1] المرجع السابق، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص 82.

إذن فمزية الإستعارة عند ابن الأثير هي القصد، الذي أُريدَ إيصاله من خلال استعمالها من قبل المتكلم في خطابه، وهذا القصد هو إثبات وتأكيد الشجاعة وقوة البطش وغيرها من الصفات التي يتميز بها الأسد، فهو يستعملها قصداً لتشديد التأكيد وحمل للسامع محملاً آخر من تأويل الكلام وفهمه وإثباته على من فيه تلك المواصفات، حيث يقول ابن الأثير: «فليست المزية في قولك: "رأيت أسداً" أنه دلَّ على شجاعة زائدة، وشدة وافرة، بل أنك أثبت المستعار له الشجاعة الزائدة والشدة الوافرة من وجه هي أبلغ وآكد» [1]. فقصدية الاستعارة هنا جاءت لإفادة السامع أن المعنى المقصود هنا هو الإثبات والتأكيد لتلك الصفات وليس من باب ذكرها للسامع ليعلمها فقط، وللاستعارة قصدية في بيان المجاز بالحقيقة ومثال ذل قوله تعالى: ﴿...وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً...﴾ (مريم:04) فالحقيقة متمثلة في النار التي تشتعل ، والمجاز ممثل في الشيب الذي يصيب الرأس، فيغدو كأن النار اشتعلت فيه ، حيث قال ابن الأثير : «فالمستعار هو الاشتعال ، و قد نقل من الأصل الذي هو النار إلى الفرع الذي هو الشيب ، قصدًا للإبانة ، و أما المستعار منه فهو النار و الاشتعال لها حقيقة. و أما المستعار له فهو الشيب ، والاشتعال له مجاز.» [2]

فالقصدية التي جاءت بها الآية هي إبانة التشابه بين شيئين، أحدهما حقيقي، والآخر مجازي، من خلال حمل الأخير على الأول، أما في التشبيه، فقد عرفه ابن الأثير بقوله: «وحدُّه أن يثبت المشبه حكم من أحكام المشبه به» [3] ومثال ذلك قوله: "زيد أسد"، فالتشبيه هنا وقع على "زيد" وهو المقصود بِهِ وهو المشبه، أما المشبه به، فهو "الأسد" وإنما أوتي هذا التشبيه لتشابه الصفات الموجودة أصلاً في الأسد، مشهور بها والصفات المنسوبة لزيد، كونه يتحلى بها. فقد قام التشبيه هنا، بالكشف عن التشابه الحاصل بين زيد والأسد، على نحو من الاختصار والإيجاز، وهذا المعنى المختصر، يقصده المتكلم للإبانة عما يرى في زيد من الصفات ، التي لو ذكرت بالتفصيل ، لما وضحت المقصود للسامع، فيما لو جُمعت في لفظة واحدة تشتملها ، حيث قال ابن الأثير في هذا الصدد: «واعلم أن فائدة التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسبه من فضيلة الإيجاز والاختصار

[1] المرجع السابق، ص 83.

[2] المرجع نفسه، ص 83- 84.

[3] المرجع نفسه، ص 90.

والدليل على ذلك ما ذكرناه من قولنا: "زيد أسد"... فصار ما قصدناه من هذا القول ، أكشف وأبين من أن لو قلنا: "زيد شهم ، شجاع، قوي البطش، جريء الجنان» [1].

ويقول في حسن التشبيه: «واعلم أن الأصل في حسن التشبيه هو أن يمثل الأستر بالأظهر وغير المعتاد بالمعتاد المعروف، وذلك لأجل إيضاح المقصود، وبيان المعنى المراد.» [2] إذن فمقصدية المتكلم من خطابه تتضح للسامع أكثر لمّا يشبه المتكلم شيئا غير مألوف بشيء مألوف، أو شيء ظاهر بخفي ولا يدفعه ذلك لبذل الجهد والتأويل لإدراك المعنى المقصود، و مما جاء في باب الالتفات. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج: 63) حيث ظهرت القصدية من هاته الآية بالالتفات الذي قام بتحويل الفعل من زمن إلى زمن، والذي تبعه تحويل في العمل كذلك ، فكان الرجوع من زمن الماضي إلى المضارع ، لدلالة على استمرارية فعل نزول المطر عبر كل الأزمان ، وليس في زمن الماضي ، فقط وتبيان قدرة الله تعالى المطلقة على الإتيان بهذا الفعل في في كل الأزمان، فالفعل المضارع بما يتمتع به من دلالة على الآنية والحركية نحو المستقبل، قام بتحقيق ذلك المقصود وإظهاره حيث قال ابن الأثير:«ألا ترى كيف عدل لفظ الماضي ها هنا إلى المضارع فقال "فتصبح" وذلك لإفادة بقاء المطر زمانا بعد زمان» [3] وظهرت القصدية فيما تفردّ ابن الأثير بالوصول إليه دون غيره ممن سبقوه، وسماه "عكس الظاهر"، حيث قال عنه ابن الأثير: «هو نفي الشيء بإثباته، وهو من مستطرفات علم البيان وذلك أنك تذكر كلاماً يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف وهي نفي للموصوف أصلاً» [4]، ومثال ذلك في قول ابن الأثير، لما وصف علي بن أبي طالب، مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تَنْثَى فلتاتُهُ، أي لا تُذَاعُ. فيبدو من ظاهر القول من دون إعمال للفكر أن في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ،فلتات لكنها لا تُذَاعُ، أما باطن القول، وهو المعنى المقصود منه أنه لا توجد فلتات أصلا حتى تُذَاعَ، فلا يمكن فهم المراد من هذا الكلام، إلا بعد حسن تدبر وتأويل.

---

[1] المرجع السابق، ص 90.

[2] المرجع نفسه ، ص 97.

[3] المرجع نفسه ، ص 103.

[4] ينظر، أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، الجزء الثالث، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407هـ/1987م، ص 88.

وفي التشبيه يقول: «واعلم أن فائدة التشبيه هي الكشف عن المعنى المقصود...». ويقول: «...فإن غرضنا من هذا أن تشبه شهامة زيد وشجاعته وجرأته، لا أن زيدًا أسدٌ من جميع الجهات فإنا لو أردنا ذلك لكان هو هو، وهذا محال، لأن زيد ليس أسدًا، وإنما هو إنسان» .[1]

- وفي الالتفات يقول: "ألا ترى كيف صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة؟ وإنما فعل ذلك لفائدة....
- في التقديم والتأخير يقول: «فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، وإنما تعمد إلى ذلك قصدًا للاختصاص...»[2]
- في توكيد الضمير المتصل بالمنفصل يقول: «إذا كان المعنى المقصود ظاهراً أو معلوماً قد ثبت في النفوس... وإذا كان المعنى المقصود خافيا ليس بظاهر ولا معلوم»[3].
- وفي الإقتصاد والإفراط والتفريط: وأمّا التفريط، والإفراط فهو أن يكون المعنى المضمن في العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه[4].
- في السجع والازدواج يقول: «لأن المعنى الذي يكون قد قصده يحتاج إلى لفظ يدل عليه»[5].

وبهذا يمكن اعتبار خطاب ابن الأثير خطابا مقاصديا ، يحمل شحنات قصدية كثيرة ومتنوعة منها ما هو موجه لغرض تعليمي، كالاستعارة التي يستخدمها المتكلم "الناثر، الشاعر" في خطابه لإبراز مقاصده عن طريق إظهار المعنى الخفي، ومنها ما هو موجه لغرض توجيهي توضيحي، من خلال مناقشته وجدله المستمر مع من سبقه من العلماء وتعقيبه على أقوالهم، حيث بيّن موقفه من ذلك عن طريق الحجج.

إنّ كتاب "الجامع الكبير" كله عبارة عن مقاصد، واقتصارنا على هذه الأمثلة، ليس من قبيل الحصر ،وإنما للتدليل فقط، فالمقاصد تتضح بصورة خاصة في الربط بين الصياغات اللغوية ومراعاة القصد العام لخطاب المتكلم، فهو يعبر عن تلك المقاصد النفسية المختلجة في نفسه، والتي يروم بلوغها مخاطبه ويتمّ الإفصاح عنها باستثمار فنون مخصوصة من الخطابات بطريقة مخصوصة تُؤوّل منه ، ومعرفة تلك المقاصد وبحث مدلولاتها ، وحجم تأثيراتها على متلقيها، فمجموع عناصر العملية التواصلية ،من فاعل الخطاب، والخطاب في حد ذاته، و سامعه، وظروف وملابسات ذلك التواصل من اللوازم الواجب توفرها جملة واحدة خلال عملية الحوار لحصول الفهم.

---

[1] المرجع نفسه، ص 91.

[2] المرجع نفسه ، ص109.

[3] المرجع نفسه ، ص155.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص6.

[5] المرجع نفسه، ص253.

كما تتجلى مقصدية العنوان الذي اختاره ابن الأثير لكتابه ، فيما طرقه من مختلف الفنون الخطابية، التي يمكن لكل من الناثر والشاعر ولوجها والتخاطب بها في كل المقامات التواصلية، التي تعرض لهما فلا يوجد عند ابن الأثير فن من دون مقصد، والمتكلم (ناثر، شاعر، كاتب) ،هو الذي يتخذ من هذا الفن أو ذاك مطية لتبليغ تلك المقاصد، وقد ذكر في مواضع كثيرة ألفاظ دالة على وجهة مقاصده من تأليفه الكتاب في العنوان والمتن، ومن أمثلة ذلك: الكاتب ، الناثر ، الشاعر ، الناظم ، المتأمل، الناظر ،أرباب الصناعة، العارف بهذه الصناعة، المترشح لهذه الصناعة، المنتصب لهذه الصناعة، طالب البلاغة... كما وجّه خطابه المقاصدي لمتلقيه بصفته متكلما، فعمد إلى التوجيه والتعليم والتحذير من التعرض لبعض الفنون، إما لصعوبة إدراك مقاصد المتكلم بها، وفي هذا مراعاة للسامع، من ذلك فنون الحذف والمسخ والنسخ الكلي للألفاظ و المعاني(السرقات الشعرية) واستعمال ألفاظ ومعاني علم ما ضمن علم آخر يغايره، إلا بعد العلم بإفادته للمقصود، وحذر من إتيان بعض التآليف كالمعاضلة وتكلف الأسجاع والقوافي والتجنيس والتصريعات واللزوميات ونقل الألفاظ من حالة إلى أخرى وتكرير الحروف... إلا لما له فائدة وقصد فقط، فالتكلف فيها مذموم، وذلك مراعاة للمتكلم وخطابه وظروف وملابسات العملية التواصلية ، لأنه سيعمد لا محالة إلى بذل مجهود كبير هو في غنى عنه ،كونه يستطيع التعبير عن تلك المقاصد ،بطريقة لا وجود فيها للتكلف لو أنه أطلق نفسه المطبوعة على السهل من الكلام، حيث قال في ذلك : «ولذلك كان كلام الناس في محاوراتهم، ومكاتباتهم، خاليا من هذا القبيل، وذلك لأنه يحصل إلا بالتكلف والقصد للإتيان به، فأما إذا أرسل الإنسان نفسه على سجيتها، وخلى بينها وبين طبعها فإنه لا يعرض له ذلك. فليت شعري أي أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتي به مستكرها ثقيلا على اللسان، ويترك ما هو أسهل عليه »[1].

[1] المرجع السابق، ص273.

خلاصة:

يمكن القول أن ابن الأثير أولى الحجاج عناية بالغة ، وهذا يظهر من خلال أسلوبه في كتابه الجامع الكبير ، فهو خطاب حجاجي يبين سعي المؤلف إلى إيصال مراده إلى المتلقين والتأثير فيهم ، وذلك من خلال اعتماده على أساليب تسهم تحقيق العملية التأثيرية كإعطاء القضية الواحدة عدة تعريفات وإكثار الشواهد ليصل إلى إذعان السامع وتسليمه بالحجج ، كما نجد ابن الأثير يضع خطاباته على شكل جسر محاورة حجاجية بينه وبين المتلقي ويشركه ضمن عملية التواصلية ، وهذا يسهم بشكل كبير في تقريب المعنى إلى المخاطب

أشار ابن الأثير إلى الحجة واستخدم مرادفها في عدد من المواضع وبين أن الغرض ، وهذا يعكس الهدف الإقناعي الرئيسي لهذا الكتاب الذي يعتبر ردا على عدد من اللغويين بشكل خاص، إضافة إلى هذا فإن مبدأ القصدية يتجلى في الجامع الكبير فلا نكاد نجد مبحثا من المباحث إلا ويحمل مقاصدًا تتنامى حسب درجة الخطاب واختلافه ، كما سعى ابن الأثير إلى تصحيح بعض المقاصد وإعطاء مقاصد جديد مدعمة بحجج وشواهد أكثر عمقا.

الفصل الثالث:المتكلم والسامع والسياق في كتاب الجامع الكبير

المبحث الأول :المتكلم

المبحث الثاني: السامع

المبحث الثالث: السياق

تمهيد:

اهتم ابن الأثير بالسامع وذلك في مجمل القضايا اللغوية التي تناولها في كتابه "الجامع الكبير" ، ولم يغفل عن المخاطب ودوره في العملية التواصلية خلال فصول خطابه، فالمخاطب عنده عليه أن يكون عالما بفنون القول، قادراً على تأويل المعاني المنسوجة على منوالها وفق القواعد النحوية المشروعة، ويفهم من هذا الكلام أن درجة وعي ومعرفة السامع للمقاصد الكلامية وظروف وملابسات العملية التواصلية يمكنها أن تؤثر مباشرة على الاستعمالات النحوية والكلامية للمتكلم وعليه فلا يمكن تصور عملية تواصلية مجسدة في ثنائية المتكلم وسياق التواصل دون المخاطب، فلا بد من وجوده حتى وإن كان متخيلاً، إذن فمكانته عند ابن الأثير تساوي مكانة المتكلم؛ إذ ينبغي على هذا الأخير أيضا أن يراعي مقام من يخاطب، فلكل قدر من الفهم نابع من منزلته الاجتماعية أو العلمية... وغيرها.

المبحث الأول :المتكلم

إن المتكلم هو أساس العملية التواصلية، فهو الذي يتلفظ بالخطاب ويعبر عن الغرض المراد توصيله إلى المتلقي، ويعتمد نجاح أي خطاب على المتكلم واستراتيجيته وبراعته في نقل فحوى الخطاب، «إذ لا يمكن للغة الطبيعية أن تتجسد، وتمارس دورها الحقيقي، إلا من خلال المرسل، فتصبح موجودا بالفعل بعد أن كان وجودها بالقوة فقط ليس هذا فحسب ، بل يكون وجودها ذو فعل مناسب للسياق، فبدون المرسل لا يكون للغة فاعلية.»[1]

فالمتكلم هو الذي يستعمل اللغة ولهذا كانت البلاغة في رمتها تهدف إلى جعل المتكلم ينجح في إيصال مقاصده إلى المتلقي ومن ثم التأثير فيه. يقول أبو هلال العسكري: «سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. »[2] فهو هنا يبين أن هدف البلاغة هو نجاح المتكلم في إيصال ما يريده إلى السامع، ولهذا فإن الفنون البلاغية هي بمثابة شروط نجاح الخطاب وعلى المتكلم الالزام بها، فإذا التزم بها نجح في إيصال مقاصده وإقناع المخاطب.

اهتمت الدراسات التداولية بالمتكلم باعتباره المسؤول المباشر عن عملية الكلام والمفعل للخطاب مما ينوع في الطاقات اللغوية الكامنة ويدرك ذلك بإنتاجه خطابات، مثل:

كيف حالك؟

يستحيل أن يكون الخطاب ذا معنى، أو أن يتواصل به مع الناس إلا إذا تلفظ به، وبهذا التلفظ يتجسد للغة انتقالها من المستوى الصوري إلى المستوى التداولي، ويغدو الخطاب مؤشرا على كفاءته.[3]

ويكون المتلفظ أمارة الإحداثيات الإشارية وكفالة المتلفظ به ومقام تخاطب بالقول حيث تعرف مواقع منتج الملفوظ

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص45.
[2] أبو هلال العسكري، م س، ص15
[3] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص46.

والمرسل إليه. ولذلك فإن تحليل الخطاب يعتمد على المتكلم باعتباره يرتبط ارتباطا وثيقا بجنس الخطاب وهيئته[1]، وبالتالي المحرك المحوري للعملية التواصلية.

ويرتكز الإنجاز الفعلي على أهلية المتكلم الذي يحدد الهدف من الخطاب الذي يتلفظ به ، فكل المتكلمين «يمدحون ويذمون، ويأذنون ويمنعون، ويشكون ، ويعتذرون، وليس هذا فقط بل أن يبينوا أيضا أن الخير أو الشر عظيم أو يسير، أو أن الأمر حسن أو قبيح، أو عدل أو جور، أما حين يضعون الأمور بأنفسها، ويقيسون بعضها ببعض فهو معلوم أن تكون عندهم قضايا في أن الأمر عظيم أو يسير، وفي الأفضل أو الأخس. »[2] كما أن المتكلم يمتلك صلاحية توجيه الخطاب فهو : «طرف أساسي في عملية الكلام، وعنصر فعال في تحديد خصائص النص، إذ يقع على عاتقه كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والوضوح.»[3] وعليه فيجب على المتكلم أن يتجنب في كلامه كل ما من شأنه أن يفسد نجاح خطابه كأن يتجنب غرابة الألفاظ وخشونتها، والتوعر في الكلام، ...إلخ ويسعى بالمقابل إلى استخدام تعابير وصيغ للتأثير في السامع ومن ذلك استخدام الصور البيانية والأشكال البديعية كالاستعارات، والكنايات، والتشبيه، والسجع والمقابلة.

إن أهلية المرسل هي المحك الحقيقي لإنجاز بعض الأفعال اللغوية التي لا يمكن أن تنجز دون توفر بعض الشروط في المتكلم، فالمدير مثلا له الصلاحيات لاتخاذ القرارات والفصل والعقاب، كما أن للإرادة بالتلفظ دور مهم فإرادة المتكلم رمن أساسي في تداوليته.

يظهر بجلاء واضح اهتمام أجدادنا الأجلاء بالمتكلم ، وعنايتهم به في مختلف الأساليب الخطابية ، بوصفه صانع الخطاب ومرسله، فهو الذي ينتج الخطاب ويشحنه مقاصديا، فالمعنى في معظم المقامات الخطابية مرتبط بما ينويه وما يهدف إليه.

---

[1] ينظر، باتريك شاردو و دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، دط، تونس، 2008م، ص219-221.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص46.

[3] رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، http://www.riyadhalelm.com/researches/15/63w_athr_anasr.doc22/11/2014 21:15 ص10.

وقد حظي المتكلم عند ابن الأثير بمنزلة كبيرة ، كونه أول مستعمل للكلام ، وعدّه من بين أهم العناصر التداولية ، فهو المعوّل عليه كثيراً باعتباره فاعل الخطاب بالدرجة الاولى ومسيّر العملية التواصلية في معظم أطوارها، ولن تكون له هاته الأهمية إلا بعد تحصيله أصولها وتفاصيلها المتمثلة في وجوب معرفة المتكلم باللغة فصيحها ووحشيها وطرق توليفها ، وخصائصها وأساليبها الخطابية ، ونزول منازلها السهلة والوعرة ، والأخذ من ذلك بما يناسب كل مقام تواصلي، حتى يكون على استعداد للتفاعل مع فاهِمِي مقاصده ضمنه ، حيث قال ابن الأثير : «اعلم أن الكاتب يحتاج إلى التشبث بكل فن والنظر في كل علم وإرصاد السمع لمحاورات الناس، فإنه لا يعدم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وَجدها فهو أحق بها، وقد تتبعت أقول الناس في محاوراتهم، فاستفدت بذلك فوائد كثيرة، حتى من أكَّار وفلاح، وأعجمي من الأعجام ، ومن يجري مجراهم، وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بمكانها، وربَّ رمية من غير رام...»[1].

فالكفاءة اللغوية شرط أساسي يبرّر به كفاءته التداولية لدى المتكلم اللغوية وتمكّنه الجيد، من استعمال اللغة في كل المقامات والفنون الخطابية، فمعرفة هاتين الميزتين الخاصتين بالمتكلم لدى ابن الأثير هما من أولوياته ، فقد اشترطهما فيه وأن يضرب فيهما بالقدح المعلى، حتى يمكن المعاني وألفاظها في نفسه، ويتمكن السامع من فهم مقاصده وأغراضه ، وقد شبه منتج الخطاب كمن يتفنن في صناعة الثوب ويزينه، وكالبناء في بناءه، وصُعوبة ولوج هذا الباب، وتحدث عن دوره الكبير في إجلاء المعنى ، حيث قال في هذا الصدد: «فلما رأيت الأمر كذلك علمت أنه لا يكفي في معرفة هذا العلم العظيم، الذي به إعجاز القرآن الكريم، قول مهمل، ولا كلام مجمل، بل لا تتم معرفته حتى يفصل فيه القول، ويدل على الخصائص التي تأثر في تأليف الكلام، ويوضح إيضاحاً جليا من غير مغادرة لشيء من ذلك، حتى تكون المعرفة بهذا كمعرفة الصانع الحاذق، الذي يعلم كل هدبة منسوجة من الإبر يسم في الثوب الديباج، وكل حجر من الأحجار الداخلة في البناء، فإنك إذا نظرت إلى هذا العلم الشريف احتجت عند ذلك إلى طول مكث وتدبر، وكثرة تأمل وتفكر، وإلى همة تأبى أن تقنع إلا بأعلى المنازل وأسمى المراتب.[2]

إذن فالفصاحة والبلاغة ،شرطان أساسيان في إنتاج أي خطاب يروم المتكلم به تبليغ مقاصده، حيث يراعي في ذلك النطق السليم والفصيح لحروف للألفاظ، وحسن تراكيبها، حيث يقول: «والفصاحة: اسم عام يشمل

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، ص 33- 34.

[2] ينظر، المرجع نفسه ، ص 76.

المفردة من اللفظ والمركب» [1] وقد ربط ابن الأثير الفصاحة بالسامع فهي عنده ليست الإتيان بألفاظ مخصوصة لتحقيق خطاب فصيح مفهوم لدى السامع، بل هي قدرة فهمية لهذا الأخير على إدراك ما يراد من الكلام الملقى على سمعه ومقاصده ، فمتى كان الخطاب ظاهرا وواضحا و مفهوما للسامع فهو فصيح عنده بحسب العصر الذي استعمل فيه حيث قال: «والكلام الفصيح ليس كلاماً مخصوصا بعينه، بل كل من فهم كلاماً وعرفه فهو فصيح بالنسبة إليه، لأنه ظاهر عنده وواضح لديه ومما يقوي هذا القول، أن اللفظ الذي لا نعده نحن في زماننا هذا فصيحا، ونكرهه لعدم استعماله وغرابته، كان عند من تقدمنا من أرباب التأليف مستعملا في زمانهم مشتهرا متعارفا ، و لولا ذلك لما أوردوه في كلامهم »[2]. حيث يربط ابن الأثير قضية الفصاحة بمهمة التداولية من حيث هي دراسة اللغة في الاستعمال ، فتبليغ المقاصد من المتكلم وحصول الفائدة للسامع ، نابع من قدرتهما على فهم الألفاظ وبالتالي تداولها في إطار عصر ما.

التقديم والتأخير:

استعمل ابن الأثير –باعتباره متكلما– اسلوب التقديم والتأخير لاعتبارات تداولية معينة في مقامات تواصلية معينة وهذا الأسلوب من الفنون القولية التي تزيد العملية التواصلية تشويقا واستمرارا ، والمقاصد وضوحاً و ودقة لدى السامع، يستعمله المتكلم احترازا من الخلل في المعنى وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير: «اعلم إن التقديم والتأخير مما نحن بصدد ذِكْرِهِ هاهنا على ضربين: أحدهما يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص ، والآخر يكون التأخير هو الأولى والأبلغ ، إما لفائدة تقتضي ذلك ، وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله، وأما الضرب الأول وهو ما كان التقديم فيه هو الأول والأبلغ فذلك كتقديم المفعول على الفعل، وتقديم المبتدأ على الخبر، وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل» [3]. ومثل ابن الأثير على ذلك بقوله: "زيدًا ضربت" فهنا خصص المتكلم وقصد في كلامه بأن أخرج تركيب الخطاب من وضعه المعمول به في الحالات العادية للنحو، إلى حالة جديدة واستعمال خاص وفق مقام خاص دعت له الضرورة المتمثلة في قصد المتكلم إفهام السامع اختصاص وقوع الضرب على شخص واحد بعينه دون غيره من الناس، فمن خلال هذا التقديم للمفعول على الفعل يتضح جليا أن "زيد" هو المضروب وهو قَصْد المتكلم وفائدته من إنتاج ذلك الخطاب ولو أنتج المتكلم خطابه في ظروف

[1] المرجع السابق ، ص77.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه ، ص 109.

نحوية عادية بأن قدم الفعل وأخر المفعول أي يقول: "ضربتُ زيدًا" فإن السامع أو المخاطب سيذهب كل مذهب ، ويفترض وجود مضروب ثان وربما ثالث أو رابع أو أكثر ومما جاء في ذلك قوله: "إذ يحتمل أن يكون الضرب لغيره ؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت كأن تقول : ضربت خالدًا أو بكرًا أو غيرهما[1].

ومثل بمثال آخر في قول الله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة: 04)فالله عز وجل بدأ في هاته الآية بقوله تعالى:﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ في إشارة واضحة منه إلى أنه الوحيد من تجِبُ له العبادة دون غيره ، ومرَدُّ ذلك التخصيص في هذا الخطاب الإلهي، هو أن الله قام بتقديم نفسه قبل فعل العبادة "نعبد" ليجعل الفعل الذي يقوم به العباد موصولا به دون غيره، وهذه إفادة تخصيص مقصودة منه عز وجل في خطابه عِبَادَهُ.

وكذلك في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾فالمستعان هو الله عز وجل دون غيره لأنه قدم نفسه على فعل عباده الذين هم في أمس الحاجة إلى الاستعانة به، ليجعل استعانتهم به موصولة به فقط دون غيره، وعليه فورود المفعول قبل الفعل في هاته الآيتان من سورة الفاتحة كان مقصوداً في الخطاب القرآني المنَجز من طرف الله والمستعمل لأغراض مخصوصة هدفها إفهام السامع أن المتكلم يقصد شيئا ما من خطابه خاصاً به دون غيره.

ولا يتأتى ما كان سابقاً من التخصيص فيما لو قال الله تعالى: "**نعبدك ونستعينك**" فالفهم الراجح لدى المخاطب سيذهب مذاهب أخرى بأن يشرك غير اله عز وجل في العبادة والاستعانة وهذا ما لم ولن يرضاه الله تعالى فاعل الخطاب خالق البشر. حيث يظهر الملمح التداولي في استعمال أسلوب التقديم والتأخير دون غيره من الأساليب لتحقيق غرض الاختصاص.

وقدم مثالاً آخر عن التقديم والتأخير الواقع على مستوى المبتدأ والخبر حيث قال: «وأما تقديم خبر المبتدأ عليه، فإنه لا يعتمد إليه إلا لضرب من الاختصاص"، ومثاله: "زيد قائم" و"قائم زيد»[2]. فالجلي أن القول الثاني أخص وأبين من القول الأول، فالمتكلم ها هنا يريد أن يبين للسامع أن "زيدًا" في حالة قيام ولم يكن في حالة أخرى كالقعود أو الجُلوس أو الضرب وبالتالي فالمتكلم وضح من خلال تقديم الخبر على المبتدأ قصده ونوع العمل الذي قام به "زيد" دون غيره من الأعمال.

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 109.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾(مريم: 46) فقد قدم الله تعالى خبر المبتدأ في هاته الآية ﴿**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي**﴾ لأهميته عند المتكلم وعنايته به كونه محل القصد المراد الحديث عنه من طرف أبيه، حيث كان غرض المتكلم من هذا التقديم للخبر هو إنكار الأب رغبة إبراهيم عن آلهة أبيه، التي يفترض أن تكون نفسها آلهة ابنه، ولا يجب أن يرغب عنها أصلاً.

وأما تقديم الظرف للإثبات فهو أبلغ من تأخيره ومثل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ، إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ (الغاشية: 22) فالاختصاص في الإياب والحساب والإثبات عليهما يظهر في تقديم الله للفظتي " **إِنَّ إِلَيْنَا**" و " **إِنَّ عَلَيْنَا**" اللتان قامتا بتشديد الوعيد وإثباته لصاحبه القادر على فعله. ولو قال الله "إن إيابهم إلينا ثم إن حسابهم علينا" لتوهم المخاطَبُ الإياب والحساب لغير الله.

كما يمكن للمتكلم استعمال تقديم الظروف وتأخيره ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾(البقرة: 1-2) فقد كان قصد الله نفي الشك عن كتابه كما يتوهّمه الكافرون وذلك باستعمال حروف النفي ليدل به على انتفاء الشك عن كتابه وإعلان صدقه.

ومما لا يجوز للمتكلم استعماله في خطابه "تقديم ما أحق به التأخير" لفساد المعنى المقصود وانقطاع التواصل بين المخاطبين، كونه استعمال نحوي غير جائز، وأنه لم يقع التداول على مثله، كقول الشاعر:

فَقد والشكُ بَيّنَ لي عناءٌ بِوَشكِ فِراقِهم صُرَدٌ يصيحُ.[1]

حيث ورد الفساد هنا لما قدم الشاعر بوصفه متكلما، ما لا يجوز تقديمه فقام بتقديم "بِوَشكِ فِراقِهم " على "يصيحُ" حيث قال معلقاً على البيت: «فإنه قدم " بِوَشكِ فِراقِهم " وهو معمول "يصيحُ" ويصيح صفة لصرد جارية على صُرد، وذلك قبيح» [2].

ويتحدث ابن الأثير عن هذا النوع من التقديم والتأخير الذي يخل بالقصد الذي يرمي إليه المتكلم إيصاله للسامع ويحذره من إتيانه في خطابه حتى تتضح مقاصده كونه لم يسبق له استعمال من قبل المتكلمين حيث قال:

[1] المرجع السابق، ص112.

[2] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

«ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في ها الضرب المذكور، لأن المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف من الكلام ذهب المراد به والمقصود منه» [1].

وتنبه ابن الأثير إلى التقديم والتأخير عن طريق الاستفهام وضرورة استعماله من طرف المتكلم و أثر ذلك الاستعمال حيث قال: فإن حاجة مؤلف الكلام إليه ماسة، وضرب على ذلك أمثلة فقال: اعلم أنك إذا بدأت في الاستفهام بالفعل فقلت : أفعلت كذا وكذا" كان الشك في الفعل ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير وإذا قلت: أأنت فعلت" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده وهذا المعنى قائم في الهمزة ، إذ هي كانت للتقرير[2].

يوجه ابن الأثير خطابه للمتكلم مستعمل اللغة بأن استعماله لها يكون من خلال ظروف العملية التواصلية، ومراعاة حالة السامع تجعل المتكلم ينظر في كيفية أداءه لمختلف الاستفهامات، لأجل بلوغ المعنى المستلزم في السياق ، فالمتكلم هنا يساوره الشك في تحقيق الأفعال أو انتفاءها ، فالخطاب هنا مرهون بالاستناد إلى مقصدية المتكلم، وقال أيضا: "فإذا قلت "أأنت فعلت ذاك" كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل فالهمزة هنا أتت لتقرر بأن المخاطب هو الفعل ويتحقق ذلك من خلال قصد المتكلم، وضرب على ذلك مثلاً في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ (الأنبياء: 62)فإن هذا الاستفهام ليس الغرض أو القصد منه أن يعترف المخاطَب وهو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بكسره للأصنام، فذلك معلوم لدى قومه، وإنما أرادوا أن يقر لهم بذلك وكان ذلك الإقرار عن طريق الاستفهام بالهمزة. وقد كان استعمال الاستفهام بالهمزة لغرض تداولي هو مراعاة للسامع وتقريره على أفعاله.

تكلم ابن الأثير عن الحذف وما للمتكلم من فضل واستطاعة إنجازية خطابية وما للسامع من كفاءة إدراكية تأويلية تسعى لفهم المقصود من محذوف المسبقة خطاب المتكلم، حيث يقوم هذا الأخير بحذف تفاصيل كلامه وإيراده مكثفا ، فيكون بذلك أكثر تشويقا للسامع وتأثيراً عليه فيعمد إلى جمله من الافتراضات المسبقة لفهم مقاصد المتكلم من كلامه المحذوف ، فهو يستغني عن الكثير من خطابه ويكتفي بالقليل منه شريطة وضوح المقاصد ومن ذلك ما أورده ابن الأثير: "كم مالك" ألا ترى أنه قد أغناك هذا عن قولك "أعشره مَالُكَ أم عشرون أم ثلاثون أم مائة أم ألف" فالمتكلم يستغني عن ذكر الأرقام التي لا حدود لها بلفظة "كم" وكذلك "أين

[1] المرجع السابق ،ص 114.

[2] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

منزلك" فتغني لفظة "أين" عن الأماكن التي يُريد ذكرها وقد اهتم ابن الأثير بالإيجاز أو الحذف وتوسع فيه كثيراً، حيث أفرد له قسمان أولهما: الإيجاز بالحذف وينقسم إلى أربعة عشر ضرباً والقسم الثاني الإيجاز من غير حذف وينقسم إلى ضربين. وقد ابن الأثير تعريفا للإيجاز بقوله: اعلم أن حد الإيجاز دلالة اللفظ على المعنى من أقرب طرقه ، فأما القسم الأول منه وهو الإيجاز بالحذف حيث عرفه بقوله: «وذاك باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر ، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون مبينًا إذا لم تُبِنْ وهذه الجملة تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر» [1]، حيث يرى ابن الأثير أنه لا يتأتى لأي متكلم كان ورود هذا الباب لصعوبة استعمال اللغة من أجل صياغة خطاب موجز موضح في المقاصد ومن دون إخلال بالنحو ولا اجتزاء للمعنى، ويرى أن المتكلم يمكنه أن يبين عن مقاصده إذا حذف أكثر من التطويل في خطابه.

وعليه فابن الأثير يُرِيدُ من المتكلم أن يتكلم قدر حاجته، وأن يتوخى أقصى درجات الإيجاز شرط وضوح مقاصده للمخاطب ، فلا يزيد في خطابه حتى يُمَلَّ عند من له أدنى معرفة بمآخذ الكلام فينقد على ذلك حيث يقول: «وإنما الذي يجب على مؤلف الكلام اعتماده هو أن يسلك المذهب القويم، ويجهد أن لا تزيد ألفاظه عن معانيه مع الإيضاح لها والإبانة عنها فإنه إذا فعل ذلك خرج عن عهده الملامة» [2].

فعلى المتكلم ألا يتكلم أكثر مما يقصد وان يتفادى التكرار وأن يحذف من خطابه ما يمكن للمخاطب فهمه انطلاقا من القرائن الواردة في الخطاب والتي من شأنها الإبانة عن المقاصد لأن «القرينة شرط في صحة الحذف لأنه مقترن بها أي غرض من أغراض أسلوب الحذف في المسند والمسند إليه والمسند والفضلة» [3].

ومن أساليب المتكلم كذلك "الإضمار على شريطة التفسير" يقول في هذا ابن الأثير: وذلك حذف الجملة من الكلام إذا كان بعدها يدل عليها ، ومثل لذلك بقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ**﴾ (البقرة: 20) وهو حذف المفعول به الذي جاء بعد مشيئة الله وإرادته.

وهناك نوع من الحذف قليل الاستعمال بين المتكلمين لصعوبته إلى درجة لا يستحسن للمخاطب استعماله في خطابه حتى لا يشوش الفهم لدى السامع فلا يصل إلى المقاصد حيث قال عنه ابن الأثير: «وذلك

---

[1] المرجع السابق، ص 124.

[2] المرجع نفسه، ص 123.

[3] حسين جمعة، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية– منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص:84.

ما يحذف من أصل اللفظ وهو إسقاط بعض حروفه ولا يحسن استعماله في التأليف لكنه يجوز ؛ لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعملته في كلامها ، فحذفت بعض الألفاظ استخفافاً حذفا يخل بالباقي ويعرض لهُ بالشبهة »[1]. ومثل على ذلك بقول علقمة:

كأنَّ إبريقَهُم ظَبيٌ على شَرفٍ مُفدَّمٌ بِسبَا الكَتانِ ملثومُ

فقوله "...بسبا الكتانة" يريد "بسبب الكتان" فهذا الضرب من الحذف صعب على المتكلم ولوجه وبالتالي فهو صعب أيضا على المخاطب فهم المقاصد المندرجة تحته وقد تقطع العملية التواصلية بسببه وإذا استعمل هذا الضرب فما على المتكلم والمخاطب إلا العلم بهذا مسبقاً أي العلم بمباني الألفاظ وما يمكن الاستغناء عنه منها دون ذهاب المعنى.

ومنه يمكننا القول بأن المتكلم يمكنه استعمال الإيجاز بالحذف في خطاباته التي ينجزها أثناء تواصله مع غيره من المخاطبين شريطة أن يبين عن مقاصده ولا يترك المخاطب في حيرة من أمره بعد استنفاذه جميع وسائل التأويل والإدراك فلا بد إذن أن يترك المتكلم في كلامه ما يوضح مقاصده وهي التي تعرف بالقرائن وبها يعرف المخاطب المقصود، وعليه أيضا أن يحذر من الحذف الذي يوجب الإخلال في المعنى المقصود وهذا النوع مخصوص بالشعر دون النثر فالملاحظ أن ابن الأثير قد أورد أمثلة شعرية عليه.

إن وضوح مقاصد المتكلم في بداية إنتاجه خطابه أدعى أن يكون أحسن وأوفق اختياراً وملاءمة للعملية التواصلية واستمراريتها والتفاعل معها وعليه إذن فإن فشل خطابه في بلوغ مراميه من مسؤولياته التي يجب عليه أن يتحملها أو أن يتفادى تبعاتها. إذن فمراعاة المخاطِب الموضوع الذي يريد أن يتكلم عليه ومقام السامع الذي يسمع ذلك الخطاب ومكانته الاجتماعية والثقافية وأن يناسب بين الكلام الجميل والمقام الجميل مثلاً حيث يقول ابن الأثير عن مبادئ الكلام وافتتاحاته بقوله: «وهو نوع من صناعة التأليف جمة فوائده، وذلك أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسائل دالاً على المعنى المقصود بذلك الشعر أو تلك الخطبة أو تلك الرسائل» [2] فلا يستعمل المتكلم عموماً سواء كان ناثراً أو شاعراً خطابات يتطير منها السامعون كأن يصف في مقام المدح الفيافي المقفرة والنوائب المشتّتة خصوصا إذا كان المتكلم في مقام التهاني والأفراح الذي يكون أدعى لاجتماع الشمل والنخب.

[1] ينظر ،المرجع السابق ، ص 141.

[2] المرجع نفسه، ص187.

المبحث الثاني :السامع

إن السامع يمثل طرفا مهما في العملية التواصلية، فالسامع يؤثر على المتكلم الذي يعتمد في كلامه على مقامات المتلقين، فهو الشخص الذي يتجه إليه الشخص المتكلم عندما يكتب أو يتكلم،...الفرد الذي يتقلى الرسالة فعلا ويؤولها، وأحيانا أخرى يمثل الشخص المثالي المقصود من قبل المتكلم الذي يقحمه في عمل تلفظه.[1] وقد أشار اللغويون القدامى في التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل، عند إنتاج خطابه، إذ أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي، مثل المستوى النحوي، من حيث التذكير والتأنيث والعدد، وتجسيده بعلامة لغوية هي إلصاق كاف الخطاب بأسماء الإشارة، ولم يقفوا عند هذا الأمر، بل أبرزوا دوره، أيضا في سياق الخطاب، وأثر ذلك على الخطاب تداوليا.[2] كما اهتم البلاغيون بالسامع وأولوه عناية فائقة فربطوه بمقتضى الحال، فإذا كانت البلاغة هي "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" فإن الحال عندهم هي **حال المخاطب**، وبذلك ربطوا بين الصياغة اللغوية) المقال /الرسالة (أو تشكيلات الكلامية وبين المخاطَب، وظروفه الاجتماعية. وعليه فإن «بناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة حاله، أو بافتراض ذلك الحال، والافتراض المسبق ركن ركين في النظام البلاغي العربي إذ العناية في المقام الأول موجهة إلى المرسل إليه.»[3] وهذا يدل على أن السامع حاضر في ذهن المتكلم عند صياغة كلامه إذ يراعي مقامات المخاطبين وتفاوت طبقاتهم، "فلا يكلم سيد الأمّة بكلام الأمّة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقامات، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام.[4] وهذا يسهم في نجاح الخطاب وبالتالي التأثير في المتلقين.

خاطب ابن الأثير في كتابه هذا جميع أنواع المخاطبين فهو على دراية تامة بتعدد متلقي خطابه، فمنهم المتعلم و ما دونه والرفيع وما دونه كذلك والأعجمي... وغيرهم ، وقد ظهر هذا من خلال المسميات التي منحها إياه حيث شَدَّدَ على المتكلم في خطابه حرصه الاهتمام بالمخاطب وأحواله وظروفه ، حيث يقول : «اعلم أن

---

[1] ينظر، بياتريك شاردو و دومينيك منغونو، م س، ص164.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص47.

[3] المرجع نفسه ، ص47-48.

[4] ينظر، ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق جفني محمد شريف، مكتبة الشباب، مصر،دط،دت37 .

الكاتب يحتاج إلى التشبث بكل فن والنظر في كل علم وإرصاد السمع لمحاورات الناس ، فإنه لا يعدم من ذلك فائدة فإن كلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وَجدها فهو أحق بها ، وقد تتبعت أقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدت بذلك فوائد كثيرة ، حتى من أكَّار وفلاح ، وأعجمي من الأعجام ، ومن يجري مجراهم ، وقد تصدر كلمة الحكمة من الجاهل بمكانها ، ورُبَّ رمية من غير رام...»[1].

يوحي ظاهر كلام ابن الأثير –باعتباره متكلما– أنه يهتم بالمتكلم ويوصيه بأن يكون على دراية بما يقال في كل مقام ، أما باطنه فهو العناية بالسامع وهو الخلفية التي انطلق منها في كلامه و المتمثلة في وضع المتكلم نفسه موضع المخاطَب ويرى موقعه ومدى تجاوبه مع استعمالاتها المختلفة ضمن مستعملي اللغة معه في مواقف فعلية مستوحاة من الحياة اليومية للناس على اختلاف تعبيراتهم تبعا لطبقاتهم وأحوالهم ، ويدرس كيفية تداولها من شخص إلى شخص في كل المقامات والأحوال وفي مختلف العلوم كذلك فالمخاطَب بعدما فهمه لمقاصد الكلام يتحول تلقائيا إلى متكلم في إطار تداولي مبني على تبادل الأدوار وتداولها مع المتكلم ، كما أنّ الاهتمام بهذا الأخير من قبيل الاهتمام بالسامع وهنا صميم العناية التداولية بهما فلا يمكن أبدا البتة تصور متكلم من دون مخاطَب داخل عملية تواصلية حتى وإن كان المخاطَب ضمنياً من جهة ومن جهة أخرى فالمسائل التي على المتكلم الإنصات لها والعلوم التي عليه النظر فيها والحكمة التي عليه تتبّعها ليستعملها في خطابه ، لهي من قبيل ما يفهمه السامعون ومدار اهتمامهم ومنبع مقاصدهم ومسلكهم إليها ، فيحصل لهم ما يقصده بكل سهولة وسيقبلون على ما يقوله ، وفي هذا إيلاءٌ كبير لمكانة المخاطَب عند ابن الأثير من خلال نزول المتكلم إلى ميدان التخاطُب والتفاعل مع كل معطياته.

إذن فالاهتمام بالمخاطب داخل إطار تخاطبي تواصلي هو اهتمام بالمتكلم ، فهما كوجهي الورقة يضاف لهما السياق التخاطبي، وبذلك تكتمل أقطاب العملية التواصلية ويظهر هذا الاهتمام في قول ابن الأثير في الفصاحة والبلاغة: «والكلام الفصيح ليس كلاماً مخصوصاً بعينه ، بل كل من فهم كلاماً وعرفه فهو فصيح بالنسبة إليه لأنه ظاهر عنده وواضح لديه» .[2] فالكلام المنجز من طرف المتكلم يشترط فيه الفصاحة واستعمال الكلام الخاص بالعصر الذي يعيش فيه المخاطب حتى يتسنى له فهمهُ فالفصاحة هنا عند ابن الأثير متعلقة

[1] المرجع ، السابق ، ص33- 34.

[2] المرجع نفسه ، ص 77.

بالسامع لأنه هو المقصود بالفهم ووضوح المقاصد لديه ، يظهر كذلك اهتمامه بالسامع في قوله عن البلاغة بأنها: "الوصول والانتهاء"، أي وصول المعنى أو القصد إلى قلب السامع فيفهمهُ.

وذكر أبو هلال العسكري في هذا الباب "البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنى قلبَ السامع فتمكنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[1] فالمتكلم ملزم بإيصال مقاصده للمخاطب كما هي متجلية في نفسه عن طريق مراعاة أحواله وبالتالي فهو المتحكم في طريقة التبليغ التي يفهم من خلالها المقاصد ، فهو قسيم المتكلم في العملية التواصلية وله موقع الصدارة عنده ، فهو لا ينشيء خطابا لا يتأكد من عدم فهم السامع له.

وللجاحظ أيضا قول في هذا وهو: «لا ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، ويبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» [2].

ويظهر هذا الكلام للجاحظ ضرورة مراعاة المتكلم لأحوال ومنازل مخاطبيه كالاجتماعية والسياسية... وغيرها.

ويظهر كذلك اهتمام ابن الأثير بالسامع من خلال الاستعارة ، حيث يقوم المتكلم بإطلاع المخاطب على مقاصده باستعمال أفانين جديدة في خطابه معه فيحمله محملاً آخر ويذهبه مذاهب كثيرة تتفق في نهايتها على الإفهام من وضع اللامألوف موضع المألوف، فيكسب المتكلم من خلال ذلك قلب السامع ويسحره قوله ويظهر كذلك اهتمام ابن الأثير بالسامع من خلال الالتفات الذي يمارسه المتكلم في خطابه مع السامع حيث قال: « (الالتفات) الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، يفعل ذلك على عادة العرب في اقتنائهم في الكلام وفيه فوائد كثيرة لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجراءه على أسلوب واحد» [3].

فاستعمال المتكلم لهذا الفن الكلامي أثناء حواره مع المخاطب لهو مراعاة لحالة المخاطب النفسية المتقلبة بين القبول والرفض والإقبال والإدبار، فردود الأفعال تلك تبين مدى تجاوب السامع مع المتكلم ، فتغير مسار

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ص 6.

[2] الجاحظ البيان والتبيين، 1/139-139.

[3] المرجع نفسه، ص 98.

الخطاب من هذا الأخير تساعد على معرفة مدى استجابة خيال السمع للمتغيرات الأسلوبية المخاطب على استعادة نشاطه إذا ضعف بسبب نهج نفس الأسلوب الخطابي من طرف المتكلم ودفعه أكثر نحو الاهتمام بمقاصد الكلام الإذعان له، ومثل على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا**﴾ (مريم: 88-84). فالخطاب بعد الغيبة هنا زيادة تنكيل عليهم بالجرأة على الله عزّ وجل والتعرض لسخطه، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه[1].

ويظهر كذلك الاهتمام بالسامع في الحمل على المعنى في قول ابن الأثير "والحمل على المعنى واسع في هذه اللغة ، واعلم أن العرب إذا حملت المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك: شكرت من أحسنوا إلي على فعله" فالاهتمام بالسامع يتجلى في الاهتمام بالمعنى لأن المقصود من فهم الخطاب هو فهم المعاني، فبلوغ المعاني للسامع هو غاية المتكلم ومنتهى مقصوده، والتداولية تهتم بالمقام، وهذا الأخير دليل على المعنى المقصود والظروف التي قيلت فيه، فكثيراً ما يقع الخروج لما يكون لمخاطب ما مكانة كبيرة لدى المتكلم فإنه لا يوجه له الخطاب مباشرة بصيغة المفرد مثلاً فيستعمل لفظا دالاً على جماعة ومعنا منفرداً...إلى غير ذلك. ويتكلم ابن الأثير عن السامع من خلال التقديم والتأخير الذي يظهر براعة المتكلم الإنجازية والتي يقصد من خلالها إرشاد السامع للمعنى المقصود من ذلك التوليف النحوي الجديد، فلكل توليفة مقصود فمنها ما يقصد الإثبات في الاختصاص كقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ فالله عزّ وجل يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن وراءه الناس جميعاً بأن الإياب له والحساب عليه سبحانه وتمَّ له ذلك بِأَنْ قدم الظرف "إلينا" على المصدر "الإياب" والظرف علينا على المصدر "الحساب" فانتفى بذلك احتمال توهم المخاطب أن للإياب والحساب لغير الله فهنا تظهر عناية المتكلم بمتلقيه، ومنها الاستفهام الذي يقصد به الإنكار على السامع فعل شيء ما ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ**﴾ (الزخرف: 40) فإسماع الصم وتبصير العميان وهدايتهم لا يمكن للمخاطب فعله ويرجع بذلك عما ينوي الإتيان به ويغير موقفه، حيث قال ابن الأثير عن السامع: «واعلم أن محض المعنى من الاستفهام الذي تفسره بالإنكار هو تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع» [2].

وتناول ابن الأثير السامع في الإيجاز والإطناب من خلال مخاطبة المتكلم متلقيه بقدر حاجتهم للفهم من يحتاج للإطالة في الكلام خصوصاً إذا كان الخطاب موجها للعامة من الناس وهناك من يكتفي بالقليل منه فتتضح

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 99-100.

[2] المرجع نفسه، ص 116.

له المقاصد حيث قال ابن الأثير: فمنهم ما يحسن فيه التطويل كالخطب و التقليدات السلطانية وكتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس؛ فإن الكلام إذا طال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والإشارة لم يقع لأكثرهم[1].

إذن فالإيجاز والإطناب المستعمل من طرف المتكلم ، لشاهد على اهتمامه بالسامع و رغبة في تجلية مقاصده له بحسب الظروف والمقامات التواصلية ، فالإطالة المملة مذمومة تنفر السامع منها ، والقصر والإيجاز المجحف في حق المعاني مذموم أيضا ، فقد يفتح باب التأويلات على مصراعيه ولا يترك أي شاردة ولا واردة تأتي في ذهن السامع إلا ويعتبرها من مقاصد المتكلم خاصة إذا ، ومع تواصل الخطاب وتتابعه يصبح السامع عاجزاً عن فهم مقاصد المصاريع الأخرى كونه لم يغلق المصراع الأول في ذهنه بعد فيكون مضطراً إلى إيقاف المتكلم عن خطابه وطلب الشرح والتفسير والإبانة عن المقاصد ، مما يؤدي إلى تعطيل العملية التواصلية أو توقيفها ، ويندرج في ذلك ، من يستعمل الإطناب مكان الإيجاز ، والإيجاز مكان الإطناب، فلا يحمد المطنب في مقام لا يوجبه إياه ، فقد يذهب بأول كلامه ، وربما كله وكذا مراده منه ، وبالتالي يفوّت على نفسه الفرصة لإبلاغ مقاصده فعلى المتكلم أن يحرص على أداء المعنى كاملا بأقرب الطرق وأقصرها دون لبس أو غموض ومن باب مراعاة السامع.

ويكون الإطناب محموداً لدى السامع إذا كان القصد من وراءه فتح أفق التصور والتأويل والفهم السريع للسامع ومن ذلك ما أورده ابن الأثير من قول الله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ (الأحزاب: 104) فإن الفائدة في قوله تعالى: «في جوفه» كالفائدة في قوله «القلوب التي في الصدور» فسماعه بهذًا يدفعه للإنكار بعدم وجود قلبين في جوفه وهذا مراعاة لفهم السامع من خلال وضع نفسه موضع المقصود من الخطاب ويظهر كذلك مثل هذا الوضع في المثال الذي أورده ابن الأثير بقول الله تعالى: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**﴾(الحجرات: 12) ويضيف معلقا على الآية «فأما تمثيله الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة» .[2] ويقول أيضاً: «فتمزيق العرض مثل أكل الإنسان لحم من يغتابه ؛ لأن ذلك

[1] ينظر، المرجع السابق، ص123.

[2] المرجع نفسه ، ص 157.

تمزيق على الحقيقة و(جعل بمنزلة) لحم الأخ لأجل المبالغة في الكراهة و(الميت) لامتناع الإحساس به، واتصال ما هو مستكره بالمحبة لما في طبع الأنفس من الشهوة للغيبة والميل إليها، فاعرف ذلك» [1].

فالسامع لما يتصور نفسه في هذا الموضع، ويحصل له الفهم من ذلك ، فسيكفّ ويرتدع عن الغيبة ولا يأتي مثل هذا الفعل مرة أخرى، و تظهر هنا عناية التداولية به.

ومن مراعاته كذلك للسامع "في التفسير بعد الإبهام" حيث يقول عنه "يفعل ذلك لتفخيم المبهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً ، فَيُذْهِبُ السامع كل مذهب" ومثل عن ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ**﴾(الحجر: 66) فالسامع سيذهب من وراء قوله "**ذلك الأمر**" ويشعر أن الخطاب مقطوع، مبهم، يحتاج إلى إيضاح وتفسير، فيبقى فهمه لمقاصد المتكلم معلقا على تلك الإضافات التي يضيفها، فيزيد إنصاته وحبه لسماعها لأنها السبيل الوحيد لفك ذلك اللغز المبهم، فيقول الله (المخاطب) ﴿**دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ**﴾ فيرتاح لذلك التفسير بعدما أخذ منه الإبهام مأخذاً كبيراً بأن أوقعه مواقع الحيرة والتشوق للخلاص منه، ولكن لو قال الله "وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع..." لما وجد السامع ما يدعو للتوضيح لانتفاء الإبهام مسبب الفخامة وهي مرتبة يوليها السامع للخطاب نتيجة إيراده مبهما من طرف المتكلم حيث يقول ابن الأثير: «فإن الإيهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكير، واستعظام لما قرع سمعه، وتشوق إلى معرفة كنهه، والاطلاع على حقيقته» [2].

إذن فالتفسير بعد الإبهام هو إيضاح وإبانة لمقاصد المتكلم تجاه المخاطب على حقيقتها ودفع توهم المقاصد الأخرى غير المقصودة وهذه عناية به، وهذا من اهتمامات التداولية.

كما ينبغي على المتكلم وضع الحالة النفسية للخاطب نصب عينيه ، وذلك بعدم ذكر ما يتطير منه السامع وينفر منه كأن يكون مقام مدح ويأتي فيه بوصف الأطلال وأجواء الرحيل والتجافي والفرقة والشتات والحروب وما شاكل ذلك من العبارات، حيث يقول فيه ابن الأثير: «وينبغي للشاعر أن يحترز في المدح مما يتطير به من وصف إقفار الديار، ودثور المنازل والأطلال، وتشتت الآلاف، وذم الزمان، وأشباه ذلك، ولاسيما إذا كان في التهاني، فإنه يكون أشد قبحاً، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة، والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام ي

[1] المرجع السابق، ص 157.

[2] المرجع نفسه، ص 172.

المديح مؤسسا على هذا المثال تطير منه سامعه» [1]، فالمطالع الشعرية مثلا غير المناسبة لحالة المتلقي والمقام الذي هو فيه مرفوضة رفضا قطعيا، كونها لا تشارك ولا تراعي الحالة الجيدة التي يعيشها

ومن مظاهر الاهتمام بالسامع "تكرير المعنى" ومثل ابن الأثير على ذلك بقوله: «أطعني ولا تعصني» فإن أحدهما ينوب عن الثاني لحمله نفس المعنى حيث قال: "لأن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية، والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب، والتقرير لها في قلبه"[2] فتثبيت الطاعة في قلب السامع له من الأمور التي يرجوها فيها كل إنسان، وهذه عناية تداولية به.

كما تناول ابن الأثير "الاستدراج" كفن كلامي لطيف يبلغ به المتكلم مقاصده بطريقة سلسة غريبة لما فيها من الحسن والطلاوة التي تهز أعطاف السامع حيث يقول في ذلك ابن الأثير: «وهو التواصل إلى وصول الغرض من المخَاطِبِ والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود حيث لا يشعر به، وفي ذلك من الغرائب، والدقائق ما يوثق السامع ويطربه» [3].

ومثل ابن الأثير بقول الله تعالى: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً،يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً**﴾(مريم: 42-45). فسيدنا إبراهيم عليه السلام سعى إلى استمالة أبيه بحسب الحالة التي وجده عليها فقام يعرض ما يعتقد اعتقادًا جازماً أنه سيؤثر عليه فقام بسرده وترتيبه بطريقة مثلى يتوخى فيها التدرج والارتياح ويمزجها بما يخاف بها مخاطبه ويجعله مرتعبا لما يسمع وما يطمع في نيله ويرغب في تحقيقه.

[1] المرجع السابق، ص 187- 188.

[2] المرجع نفسه ، ص 210.

[3] المرجع نفسه ، ص 253.

المبحث الثالث :السياق

يعتبر السياق من المفاهيم المهمة التي تستند إليها الدراسات التداولية، فكل تناول لحيثيات السياق يسهم في فهم الدلالة وإيضاحها، ومن ثم فإن السياق «من المفاهيم التي أسالت الكثير من الحبر في الفكر المعاصر، وبالخصوص في علم اللغة[1]» وذلك لأن السياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل به الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية تراعي مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ.[2]

وإذا عدنا إلى المعنى اللغوي للسياق وجدناه ينحصر في التتابع والإيراد، فالسياق من «الجذر اللغوي (سوق) والكلمة مصدر(ساق يسوق سوقا)، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث وهو التتابع» . [3]

وينظر الدكتور " تمام حسان "إلى السياق من ناحيتين أولاهما :توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى(**سياق النص**)أي السياق اللغوي. والثانية :توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (**سياق الموقف**).[4]

لقد تعددت تقسيمات السياق بحسب زاوية النظر ولعل أشعر تقسيم هو تقسيمه إلى سياق لغوي وسياق غير لغوي.

السياق اللغوي: وهو «تجسيد لتلك التتابعات اللغوية فيشكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية».[5] ، وقد عرفه جان دي بوا بقوله: «السياق هو المحيط وهو الوحدات اللغوية التي تسبق والتي تلحق وحدة لغوية معينة. »[6]

فالسياق اللغوي يرتبط بجانب تركيب الكلام وله أهمية كبيرة في تحقيق الانسجام بين وحدات الخطاب، كما أنه يسعم في فهم المعاني التي يقصدها المتكلم.

---

[1] محمد الولي ،السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد ،25 ، 2007م، ص62.

[2] ينظر، عبد الرحمن بودرعع، أثر السياق في فهم النص القرآني الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 25، 2001، ص73.

[3] ابن منظور، لسان العرب ، مادة (س و ق).

[4] ينظر، محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية، ص 08، www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص40.

[6] Jean DUBOIS, Dictionnaire de linguistique, Paris 1989, p:120.

السياق غير اللغوي: (السياق المقامي): وهو الذي «يشتمل أكثر العوامل غير اللسانية التي يرد فيها القول والمتمثلة في النفسية للمشاركين في الخطاب الحالات أو المنتج له، والعوامل التاريخية والاجتماعية والمخزون المعرفي»[1] يسمى أيضًا بسياق الموقف، أو سياق الحال، أو السياق الخارج عن النص، ويُقصَد به السياق الخارجي الذي يمكن أن تقعَ فيه الكلمة، ويشمل كلَّ ما يحيط باللفظة من عناصرَ غيرِ لغوية تتصلُ بالعصر، أو نوع القول، أو جنسه، أو المتكلِّم، أو المخاطَب، أو الإيماءات التي تعطي للفظةِ دلالتها. .فكلمة سياق تشمل هذا النوع من القرائن أيضًا، ويمكن أن يتسعَ المعنى المألوف لكلمة "سياق"، ليشملَ الظروف التي تحيط بالكتابة أو القول... وقد يتسع المعنى أخيرًا ليشمل أيَّ شيء يعود إلى ذلك العصر نراه مناسبًا لتفسيره، وذلك أن المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصرُ غير لغوية ذاتُ دخل كبير في تحديد المعنى، بل جزء أو أجزاء من معنى الكلام من ملابَسات وظروف ذات صلة فينبغي لفَهْم النص فهمًا صحيحًا معرفةُ الحدَثِ المقُول فيه، والظرف المحيط، ليوصلنا سياقُ الحال إلى الدلالةِ المحددة.[2]

وتأتي أهمية السياق في كونه يسهم في تحديد الدلالة المقصودة، وقد نبه القدامى إلى دور السياق في فهم المقصود يقول الجاحظ: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.[3] »

فالجاحظ يلفت النظر إلى أن لكل مقام مقال، وعلى المتكلم أن يعرف مقامات المخاطبين فيكلمهم بحسب تلك المقامات وهذا ما أكد عليه السكاكي في قوله: «ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية...وجميع ذلك معلوم لكل لبيب...ثم إذا شرعت في الكلام

[1]Marie – Noelle GARY – PRIEUR : Les termes clés de la linguistique, éd. Seuil, Oct. 1999, p.19.

[2]http://www.alukah.net/literature_language/0/69299/#ixzz3k2xE7q2r

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، د ط، القاهرة مصر، 1960م، ج1، ص 90.

فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام...وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو ما نسميه مقتضى الحال.»[1]

كما يسهم الاتساق في فهم العوامل الداخلية والخارجية وظروف إنتاج الخطاب، وبالتالي يوصل المتلقي إلى الفهم الصحيح للخطاب يقول محمد خطابي: «ومن نتائج هذا التماسك النصي أن الخطاب السابق يحدد امتداد السياق الذي سيؤول فيه المستمع ما يلحق...ولما كان الخطاب ينتظم في شكل متتاليات من الجمل، فإن هذا التنظيم سيتحكم في تأويل الخطاب بناءا على أن ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه.»[2] من هنا يتبين دور السياق فلا يمكن أن نحلل عناصر الخطاب دون العودة إلى السياق ولهذا يعد ركيزة أساسية تستند إليها الاستراتيجيات التداولية.

يظهر اهتمام ابن الأثير بالسياق جلياً من بداية الكتاب إلى نهايته وهذا أمر منطقي فلا يمكن أن تتصور عملية خطابية تواصلية من دون مراعاة لظروف وأحوال المخاطبين وأقدارهم أي ظروفإنتاج الخطاب وفي ذلك يشدد ابن الأثير وبصفة ملزمة : «أن يعلم ما تقوله النادبة في المأثم، وما تقوله الماشطة عند جلوة العروس، وما يقوله المنادي في السوق على السلعة...»[3].

فالسياق هو الذي يفرض على النادبة في المأثم أن توخى الكلام الذي يعبر عن الحزن والمواساة لأهل الميت والعبارات الخاصة بالتعْزية وذكر فصائل الشخص المتوفى بنوع من الحسرة على فقده فتتضح بذلك مقاصدها من خلال سياق المقام الذي هي فيه ويفرض كذلك على الماشطة أن تقول كلاماً للعروس يجعلها تطمئن لها بأن تقوم بتزيينها وإخراجها في أبهى حلة من خلال الحوار الذي يدور بينهما ويفرض كذلك على المنادي على سلعته في السوق كلاماً يدغدغ أسماع المارة فيهرعون أفواجاً لشراء سلعته فهو يعتمد إذن على الإغراءات كأن يذكر جودة سلعته وسعرها المناسب والمكان الذي أتى بها منه مشهور بالسلع الجيدة.

من الأمور الرئيسية في العملية التواصلية، فالمتكلم بإنجازه الخطاب عليه مراعاة السياق الذي ينتج فيه ذلك الكلام ويعرف في البلاغة العربية بالمقام من خلال مقولة (لكل مقام مقال)، فالمخاطب لا يستقر على حال

---

[1] ابن علي السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية تح، عبد الحميد الهنداوي، ط1، بيروت لبنان، 2000م، ص256.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1991م، ص57-59.

[3] المرجع نفسه، ص34.

واحد، فقد تعتريه حالات نفسية كثيرة والمتكلم الحذقُ هو من يدير العلمية في هاته المقامات، حيث يعمد إلى مراعاة كل حالة على حدى وينتج لها ما يطابقها من الخطاب حتى يصل بالمخاطب حد الفهم وإدراك القيمة الإخبارية للخطاب فالإيجاز والإطناب عند ابن الأثير متعلق بحال المخاطب وطبقته الاجتماعية.

«فالإيجاز ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزؤون يسير القول عن كثيرة وبجمله عن تفسيره... وأما الإطالة ففي مخاطبة العوام ومن ليس من ذوي الأفهام ومن لا يكتفي بسيره، ولا يتفق ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره» [1].

يعد السياق من أهم محاور العملية التواصلية القائمة بين المتكلم والسامع فلا يمكن للمخاطب أن يتكلم كما يرى ودون مراعاة لشروط ومقاييس تفرضها عليه أنساق النحو واللغة وكذلك المخاطب الذي يتلقى خطاب المتكلم ويسعى جاهداً لف شفراته وفهمه وبالتالي قدرته على التخاطب والتواصل.

أشار ابن الأثير في قضيتي الفصاحة والبلاغة من خلال وضوح المقاصد الموجهة للمخاطَب، فالسياق هو الذي يؤلف بين الكلمات لأنه موضوع في حسبان المتكلم، فهو الذي يتوخى البناء النحوي لكي يحسن البناء الاستعمالي، فقد تكون اللفظة فصيحة النطق، قبيحة المعنى المعبر بها عنه سياق خطابي ما، وتكون في موضع آخر حسنة المعنى، ومن ذلك ما عابه ابن الأثير على ابن سنان الخفاجي في قوله عروة بن الورد:

قلتُ لقوْمٍ ، فِي الكنيفِ ، تَرَوّحوا عشِيّةَ بتنا عند مَاوَانِ رُزّحِ [2].

فابن الأثير لم يعب فصاحة النطق الناجم عن فصاحة مخارج حروف كلمة " الكنيف"، التي يراد بها الآبار التي تستر الحدث، إنما أنكر على ابن سنان رفضهُ استعمال عروة بن الورد لتلك الكلمة رغم فصاحة نطقها ، والتي كانت تستعمل في ذلك العصر، عصر عروة بن الورد، وكان سبب رفضها من قبل ابن سنان هو يخص معناها القبيح، فعم الرفض ليشمل اللفظ أيضا، وقد تفطن ابن الأثير لذلك الحكم الجائر على اللفظة من خلال معناها القبيح الذي تحمله لقضية السياق الذي وردت فيه، ودوره في إكسابها إياه، فقد استعمل نفس البنية الصوتية وقام بتوظيفها ضمن إنتاج خطابي آخر، فكان له ما أراد وهو حصول الإفادة منها داخل السياق الجديد الذي وضعت فيه، حيث حملت هذه اللفظة معنى حسناً، مقبولاً لدى السامعين، حيث قال ممثلاً عن ذلك : «

[1] ابن وهب، م س، ص97.

[2] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص 78.

ومع هذا فإذا نقلت هذه اللفظة التي قد استقبحت هاهنا، إلى موضع آخر صار ذلك القبح حسنا كقولك: "أنا في كنف فلان" أي في داره، وتحت ظله» [1].

ويقول الجرجاني في ذلك الباب: «نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيها لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير» [2] ، فالسياق هو الذي يعطي الجلاء المعنوي الحاسم للتركيب اللفظي المنجز من طرف المتكلم.

والسياق يقوم بالتحكم في المعاني النفسية المراد تبليغها، وترتيبها بطريقة مقصودة، لكي يتضح المقصود من خطاب المتكلم للسامع، وهذا ملمح تداولي يوضح دور السياق في حصول الإفادة والقبول عن طريق تغيير مواقع اللفظ فيه، وللسياق دور في إنجاز الخطابات التي يستعمل فيها المتكلم العديد من الأقوال الإستعارية، فهو الذي يفرض استعارة دون أخرى، ومعنى دون آخر، وهو الذي يربط معنى الإستعارة المختارة بالمعنى الذي ترغب في التعبير عنه من خلال التلاؤم بين المعنيين، ويظهر ذلك من خلال المثال الذي أورده ابن الأثير وهو قول الله تعالى: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**﴾ (**مريم: 04**)فالإشتعال من خواص النار التي تحرق الأشياء وتُغَيَّرها عن طبيعتها السابقة لها قبل الاشتعال، وكذلك يفعل الشيب برأس صاحبه بأن يحليه شيئاً فشيئاً أبيضاً بعدما كان غير ذلك في بادئ الأمر.

ويقول ابن الأثير معلقا على الاستعارة الواردة في الآية: «وهو أن الشيب لما كان يأخذ في الأس شيئاً فشيئاً، حتى يحيله إلى غير لونه الأول، كان بمنزلة النار التي تشعل في الجسم وتسري فيه، حتى تحيله إلى غير حاله المتقدمة» [3] فالسياق إذن يحث الكفاءة اللغوية للمتكلم ويثيرها فتفيض استعمالاً وتداولاً لنوع مخصوص من الخطاب القولي الزاخر بالمعاني المضمرة المعبرة عما يقصده المتكلم.

وللسياق كذلك دور في صناعة الالتفات لدى ابن الأثير، والالتفات يتطلب ذهنا مستمعاً، نشيطاً، سريع الفهم، عارفاً بمقاصد أفانين القول النابعة من مختلف الحالات التي يعيشها المتكلم، والتي يبلغ من خلالها مراده، وعليه فإنه بحسب السياق يكون الالتفات.

---

[1] المرجع السابق، ص 79.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني، السعودية، 1992، ص401.

[3] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص 85.

وقد أورد ابن الأثير قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ فقد خاطب الله عباده من مقام أعلى، كونه الخالق المستوجب للحمد والشكر، المستعان به في كل شيء، المالك لزمام الأمور، ويظهر ذلك في قوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾فهذا الخطاب المقرر لتلك الحقائق والنعم العظيمة نابع من سياق كونه محققها وفاعلها ثم قال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ وهنا جاءت العبادة والاستعانة، بعد ذكر لتلك الحقائق العظيمة مباشرة ومصرحاً بها لقرب عباده منه، بينهما شديداً لأن موجد النعم أحق بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية، وقد أوضح الله تعالى هذا الارتباط بين المقامين مقام الخالق المنعم الحقيق بالحمد والعبادة والاستعانة والهداية، ومقام المخاطبين من ينجزون تلك الأفعال المتمثلة في الحمد والعبادة والاستعانة وطلب الهداية عن طريق انتقاله من الغيبة إلى الخطاب، وهذا الانتقال بحسب ابن الأثير له فائدة حسنة حيث قال: «ليس العدول فيه من الغيبة إلى الخطاب اتساعاً وإنما عدل إليه لفائدة حسنة» [1] والمقصود بها مراعاة السياق الذي يجري فيه القول لأن مقام الله يباين مقام العباد، فالخطاب القولي المنجز من الله، فريد من نوعه، يأخذ المتلقي على حين غرة، حيث ينتقل من حالة إلى أخرى، فبعدما كان السامع في حالة الاستماع التي يصاحبها ارتفاع في مستوى الإقرار والاندهاش لما يسمع من فضل الله عليه، لينتقل من السماع إلى التطبيق، شكرا وتضرعاً وطلب مغفرة لجهلهم بالنعم التي أفاضها الله عليه.

ثم قال فيما بعد ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ فهنا قام بالتصريح في الخطاب لما فسر الصراط المراد وهو صراط الفائزين بالنعم، صراط المقربين الذين تشملهم رحمته، فالمخاطب هنا مقرب من الله تعالى لأنه من عباده المخلصين الذين امتثلوا للعبادة والاستعانة به فقط، فهداهم ذلك الصراط السوي، ولهذا صرح في الخطاب أولاً وغيَّب ثانيا لما قال تعالى ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ ولم يقل تعالى "غير الذين غضب عليهم" فلم يورد نفس الصَّياغة التركيبية بين الفئتين فالله لم يشأ أن يساوي بينهما لاختلاف منزلتهما عنده، لذلك انتقل من الخطاب إلى الغيبة، أي خاطب أصحاب الفضل عنده وقربهم إليه لعُلو مكانتهم عنده وغيَّب "المغضوب عليهم" لبعدهم عنه ودناءة درجتهم، حيث قال ابن الأثير في ذلك: فجاء باللفظ منحرفاً به عن الغضب، فأسند النعمة إليه لفظا، وزوى عن ذكر الغضب تحسنا ولطفاً[2].

[1] المرجع السابق، ص99.

[2] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالتفت الله في خطابه من المخاطب إلى الغيبة نتيجة لمكانة كل فريق عند ودرجة قربهم إليه، فلفظة "منحرفاً" و"تحسناً" و"لطفاً" لدليل على السياق ودوره في تغيير مسار الخطاب حسب المخاطب.

إذن فالالتفات كقضية تداولية تنتج عن السياق الذي يتواجد فيه كل من المتكلم بالدرجة الأولى لأنه منتجهُ، والسامع بالدرجة الثانية لأنه متلقيه، فهو إذن يراعي حالتهما أثناء العملية التواصلية.

ويظهر كذلك دور السياق في عكس المراد الظاهر من خلال التوصل إلى المعنى عن طريق الفهم الحقيقي لقصدية الخطاب الذي يريد المتكلم إيصاله للسامع، فالتتابع اللفظي للكلام لن يمكن من الإدراك والتأويل الحقيقي للمعاني الثواني التي يَشِيْ بها الخطاب والتي تستشف فقط من خلال المقام التي ذكرت فيه، ومثال ذلك المثال الذي أورده ابن الأثير: "ولا ترى الضب بها يَنْجَحِرُ"[1] ففي الوهلة الأولى يَبْدو أن المتكلم يقصد عدم وجود جحْرٍ فِي ذلك المكان، أو أنه موجود لكنه صغير بالنسبة لحجم الضب، فهذا ظاهر الكلام، لكن المقصود الحقيقي يتجاوز البنية السطحية لهذا الخطاب إلى البنية العميقة، والتي من الممكن أن تنفي كل توقعات التأويل التي تزاحمت في ذهن المتلقي وتحيله منهزماً أمام بساطتها، فالسامع إذن بحاجة ماسة إلى ما ينقذه من هذا المأزق التأويلي الفاشل، ولا تكون له ذلك إلا بالعودة للسياق الذي قيلت فيه، وعليه فإن عكس الظاهر الذي يمارسهُ المتكلم في حق مخاطبه من دواعي اللجوء إلى السياق لفهم المقصدية الحقيقية من ذلك العكس، وهذا ملمح تداولي كذلك.

ويتجلى كذلك في الحمل على المعنى، فقد كانت العرب تمارسه في لغتها، كما يلاحظ وروده في القرآن الكريم، حيث قال فيه ابن الأثير: «اعلم أن هذا القسم من التأليف دقيق المسلك، يعيد المذهب، يحتاج إلى فضل معاودة وزيادة تأمل، وقد ورد في القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً»[2] فإن قوله: اعلم أن هذا القسم من التأليف دقيق المسلك ، لدليل على كلامه على السياق، فالسياق هو الذي يتحكم في صيغة الخطاب المنتج من طرف المتكلم، فكثيراً ما يؤنَّث العرب في كلامهم المذكر ويذكرون المؤنثَ ويحملون معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد والفرع على الأصل أو العكس، وقد أورد ابن الأثير في حمل معنى الواحد على الجماعة بيتا قاله ذو الرمة:

ومَيَّةُ أَحسنُ الثَّقَلين وَجْهاً وسالفةً وأَحْسَنُه قَذَالاً.

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 106.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويضيف ابن الأثير مبينا موضع الشاهد على وجود السياق ودوره في ذلك النوع من الحمل المعنوي قوله: « فأفرد الضمير مع قدرته على جمعه، وهذا يدلك على قوة اعتقادهم في أحوال المواضع، وكيف ما يقع فيها»[1]، فقوله "أحوال المواضع" يقصد بها السياق الذي يتواجد فيه الكلام أو الصيغة القولية التي أنتجها المتكلم، فالسياق إذن يهتم بالمعنى المراد تبليغه، حتى وإن كان اللفظ غير مناسب في ذلك الخطاب، ويظهر ذلك جليا في قول ابن الأثير: «واعلم أن العرب إذا حملت على المعنى، لم تكد تراجع اللفظ» [2]، ويمثل على ذلك بقوله: شكرتُ من أحسنوا إلي على فعله" وعليه فالسياق هو الذي يكشف عن المعاني المقصودة حتى ولو لم تناسبها الألفاظ، لذلك فالمتكلم هو الذي ينتج المعاني وله الحرية فيما يستعمل ويقصد، شريطة أن يزن ذلك بميزان السياق، فهذا الأخير يعطي المعاني الآنية اللحظية للاستعمالات اللفظية المنجزة من المتكلم والحاملة لمقاصده، وهذا يعد تداولي كذلك.

ويتجلى السياق كذلك في قضيتي التقديم والتأخير، حيث يقول فيه ابن الأثير: «اعلم أن التقديم والتأخير مما نحن بصدد ذكره هاهنا على ضربين: أحدهما يكون التقديم هو الأولى والأبلغ لموضع الاختصاص، والآخر يكون التأخير هو الأولى والأبلغ؛ إما لفائدة تقتضي ذلك، وإما خوفاً من فساد المعنى واختلاله»[3]. فالسياق يفرض على المتكلم تقديم ما حقه التأخير نحوياً لأغراض استعماليه تداولية مقصودة، ومن جملة المقاصد المرجوة من ذلك الخرق النحوي "الاختصاص" الذي يتم عن طريق تقديم المفعول على الفعل أو تأخير المبتدأ على المبتدأ، أو تقديم الحال أو الإثبات والنفي، كتقديم الظرف وتأخيره، أو الإقرار والشك عن طريق الاستفهام بالهمزة وإيراد الفعل أو الاسم بعدها.

فالاختصاص المقصود من المتكلم يتجلى من خلال السياق الذي يرد فيه ذلك التقديم للمفعول على الفعل في قول ابن الأثير: "زيداً ضربت" فقد أفاد هذا القول وقوع الضرب على "زيد" وليس على غيره من الناس، في حين لو قيل العكس لوقع الضرب مواقع كثيرة، حيث يقول ابن الأثير "ضربت خالداً أو بكراً أو غيرهما، وإذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول"[4]، فالاستعمال الأول يباين الثاني، فالأول خاص لازم والثاني عام مشترك، ولا

[1] المرجع السابق، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص108.

[3] المرجع نفسه، ص109.

[4] ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يظهر ذلك الاختصاص إلا عن طريق التقديم والتأخير الذي يفضي إلى استعمال مخصوص للقول لتوضيح قصدية المتكلم للسامع وهذا بعد تداولي.

والسياق ينفي على المخاطب الاحتمالات الأخرى التي يمكن وقوعها ويتضح ذلك من خلال تقديم الظرف للإثبات ودفع الاحتمال في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ**﴾ (الغاشية: 22). فالسياق يفرض تقديم الظرف على المصدر لحصول الإثبات بشدة ما يعدهم الله إياه من الإياب والحساب، فالله وحده دون غيره محل ذلك الفعل، حيث قال ابن الأثير: «لأنه يعطي من المعنى إيابهم ليس إلا إلى الله، المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس إلا عليه» [1]، وهذا استعمال لغوي غرضه إثبات للسامع أن الإياب والحساب لله فقط وهو ملمح تداولي كذلك.

واستعمل ابن الأثير السياق لمعرفة فائدة الاستفهام بالهمزة أهو شك أم تقرر، وقد أورد أمثلة بدأ فيها بالفعل والاسم المسبوقين بالهمزة ومثاله عن الأول قوله: "أفعلت كذا وكذا" كان الشك في الفعل، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده لا غير، وإذا قلت: "أنت فعلت" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل وحده، وهذا المعنى قائم في الهمزة، إذ هي كانت للتقرير، فإذا قلت: "أأنت فعلت ذاك" كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، ويستشهد على ذلك بقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿**أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ فكان الغرض هنا تقرير سيدنا إبراهيم على فعلته المنكرة والتي لم يرتضوها منه، حيث قال ابن الأثير: فالهمزة مما ذكرناه تقرير لفعل قد كان وإنكارٌ له، لم كان، وتوبيخ لفاعله عليه ، فتشكيك السامع وتقريره على فعلته من الملامح التداولية المستشفة من الاستفهام الذي يفرضه السياق وقوع هذا الموضع من الاستعمال أو ذاك.

إذن فالسياق يفرض على المتكلم التعاون مع المخاطب واحترام وضعه كونه يعاني تبعات الخرق النحوي مشروع الاستعمال والمتمثلة في إثارة الكفاءة التأويلية للسامع للوصول المعاني الباطنية من وراء تلك الخروقات المستلزمة سياقيا، فالمخاطب كما يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري: «يستدل بلغة الخطاب الظاهرة ليفهم الخطاب الذي قصده الباطن أو المضمر[2].

وكما للسياق دور في الإيجاز والإطناب من خلال مراعاة المتكلم لذلك السياق أو المقام، فهو يتحكم في طول الكلام وقصره، وفي عمق معانيه وبساطتها، ذلك أن خطاب الخواص غير خطاب العوام، فلكل قدر ومنزلة

[1] المرجع السابق، ص 111.

[2] ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، م س، ص 201.

تجعله يفهم هذا الكلام أو ذاك، حيث يقول ابن الأثير: «فمنه ما يحسن فيه التطويل كالخطاب والتقليدات السلطانية، وكتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس؛ فإن الكلام إذا طال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم، ولو اقتصر فيه على الإيجاز والإشارة لم يقع لأكثرهم» [1] وعليه فاستعمال الإيجاز والإطناب يكون بحسب من يوجه لهم الخطاب ليتم رفع الإبهام عنهم وتوضيح المقصدية المرجوة من ذلك.

والحذف هو تكثيف للمعاني المحذوفة فيا لم يحذف من الألفاظ، فهو إن مسلك سحري ينجزه المتكلم في خطابه متاح له عن طريق السياق الذي يتكلم فيه.

ومن تطبيقات الحذف الاكتفاء بذكر السبب عن المسبب في المثال الذي أورده ابن الأثير بقول الله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ....** ﴾ (البقرة: 60) حيث قال: «فاكتفى بالمسبب الذي هو "الانفجار" عن السبب الذي هو "ضرب[2] فالسياق الذي وردت فيه الآية يغني عن ذكر سبب الانفجار الممثل في الضرب لأنه أقرب وأدعى أن يكون سبباً له، وكذلك في الإضمار على شريطة التفسير لا يكون فيه ذكر للمحذوف حتى يغدو عظيماً، فخماً، ساحراً، وعظمته ومكانته نابعة من رغبة المتكلم في إضمار كلامه.

وكذلك حذف الفعل وجوابه، وحذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل منهما مقام الآخر، ومثال على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ (يوسف: 82) والمقصود أهل القرية.

إذن فالسياق دور في الإيجاز من خلال مراعاة من يُتَحدث إليهم من المخاطبين ومقاماتهم من ذلك الكلام، وعليه إذن فمن حسن بلوغ المقاصد وتمامها أن يستعمل المتكلم كلامه وفق السياق الذي يتواصل فيه مع مخاطبه وهذا ملمح تداولي، ويقول كذلك عن الحذف ودور السياق في بيان المحذوف: «فانظر أيها المتأمل إلى هذه المحذوفات، التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه، ودلالة الحال عليه، وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون الحذوف فاعرفها» [3] وهنا يتكلم ابن الأثير صراحة مكانه السياق في استرجاع المعاني المحذوفة، وكأنها لم تحذف، ويقصد بالحال السياق الذي وردت فيه تلك الحذوف، ويظهر مثل هذا الملمح التداولي في كل أضرب الحذف والإطناب ضد الإيجاز وله منزلة الخاصة، ويكون مرغوباً فيه أو عنه بحسب المقام الذي ذكر فيه، حيث يقول في ذلك أبو هلال العسكري: «وكما أن الإيجاز له موضع، فكذلك الإطناب له موضع، والحاجة إلى

[1] ابن الأثير، الجامع الكبير، م س، ص 123.

[2] المرجع نفسه ، ص 123.

[3] المرجع نفسه، ص 130.

الإيجاز في موضعه، كالحاجة إلى الإطناب في موضعه» [1]، فالسياق يتحكم في مواضع الإيجاز والإطناب، ومن التداولية أن يستعمل المتكلم كلاماً محدداً لمخاطب محدد في سياق محدد لأجل غرض محدد ، فالمقام أو السياق الذي يتواجد فيه كل من المتكلم والمخاطب بغرض بلوغ حجم معين من المقاصد، لا يزيد عنه ولا ينقص، فإذا كان المقام من مخاطبين وظروف ملابسات العملية التواصلية يتماشى والتوسع في المقاصد، فإن استعمال الإطناب مخالف ومذموم، وأما إذا كان السياق عكس ذلك، أي أنه يوجب الإطناب وذلك مناسب محمود وهنا تظهر التداولية في مراعاة السياق لأحوال الفاعلين في العملية التواصلية الأربعة عشر التي ساقها ابن الأثير، وقد اكتفيت بما يدلل على ذلك ويوضح المقصود.

ويفرض السياق أحيانا على المتكلم الإطناب في الكلام لأجل المبالغة في زيادة التصور والفهم لدى السامع، حيث قال في ذلك ابن الأثير: «اعلم أن الإطناب في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الكلام: إذا بالغ فيه»[2]. ويضيف كلاما عن الغرض منه فيقول: «وفائدته زيادة التصور للمعنى المقصود وإما حقيقة وإما مجازاً» [3].

فالسياق يفرض على السامع دفع احتمال وجود قلبين في جوف واحد وذلك لأنه يضع نفسه موضع ذلك الرجل الذي تكلمت عليه الآية، فالسامع هنا قد أدخل نفسه في السياق، سياق الآية وأصبح يستشعر مقاصد المتكلم في تلك الآية من خلال سياقها.

وكذلك تعرف المعاني الثواني المضمرة في الكناية والتعريض من خلال القرائن الدالة على المعنى الضمني، حيث يقول في ذلك ابن الأثير: «وذاك أن تراد الإثارة إلى معنى، فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالاً للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه كقولنا: "فلان نقي الثوب" أي منزه من العُيوب» [4]. فالقرائن السياقية التي ذكرها ابن الأثير في قوله: "ألفاظ على معنى آخر" هي التي تفصح عن المقصود أو معاني المعاني.

---

[1] المرجع السابق، ص 147.

[2] المرجع نفسه ، ص 151.

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه ، ص 157.

ومحل الارداف من ذلك ليس ببعيد، فقد عرفه ابن الأثير بقوله: «وأما الارداف فهو أن تراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومرادف له، كقولنا "فلان طويل النجاد" والمراد به طويل القامة، إلا أنه لم يتلفظ بطول القامة الذي هو الغرض، ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة»[1].

من خلال ملاحظة القولين يتضح تقاربهما الشديد، لكن ابن الأثير يورد اختلافهما البسيط في الاستعمال وهذا ما أحرزه ابن الأثير وهو ملمح تداولي مستشف من السياق فنقاوة الثوب جزئية من النزاهة عن العيوب وليست صفة لصيقة وملازمة لصاحبه، أما طول النجاد فهو ملازم ودليل على صاحبها، حيث يقول: «وليس نقاء الثوب دليلاً على النزاهة عن العيوب، وإنما هو تمثيل فاعرف ذلك» [2].

ويظهر استعمال السياق فيما تعرض له ابن الأثير من الأراديف الخمسة، والتي تُعرف معانيها الدقيقة من خلال استعمالها ضمن سياقات تواصلية معينة، متعارف عليها بين المتكلم والسامع، وكلها ملامح تداولية، تعتني بأطراف العملية التواصلية، كما نجد السياق عند ابن الأثير حاضراً حديثه عن المبادئ والافتتاحات وهي تعتبر مقامات تخاطبيه يتم إنجاز الخطاب فيها موافقا ومراعيا لأقدارها ومنازلها، موضحاً مقاصده فيها، حيث قال عنها ابن الأثير: وذلك أن يجعل مطلع الكلام من الشعر والخطب والرسائل دالاً على المعنى المقصود بذلك الشعر أو تلك الخطبة أو تلك الرسائل[3].

فلا يؤثر بما يوصف به مقام الذم في مطلع ما يوصف به مقام المدح والفرح، ولا العكس من ذلك أيضا، حيث قال في ذلك: «وينبغي للشاعر أن يحترز في المدح بما يتطير به من وصف إقفار الديار، ودثور المنازل والأطلال، وتشتت الآلاف، وذم الزّمان، وأشباه ذلك ولاسيما إذا كان ذلك في التهاني، فإنه يكون أشد قبحاً، وإنما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة، ومتى كان الكلام في المدح مؤسسا على هذا المثل تطير منه سامعه، فإن رأس صناعة التأليف وضع كل شيء مكانه» [4]. وهذه إشارة واضحة إلى دور السياق في إنتاج المتكلم للخطاب وكذلك ضرورة مراعاة ذلك المقام لكي يستمر التواصل بين المرسل والمرسل إليه، واستعمال كل خطاب في مكانه، هذه مزايا تداولية واضحة.

---

[1] المرجع السابق، ص 160.

[2] المرجع نفسه ، ص 160.

[3] ينظر، المرجع نفسه ، ص187.

[4] المرجع نفسه، ص 187- 188.

يقول السكاكي في هذا الصدد: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار والإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر» [1] وعليه فإن المقام الذي يتواجد أو يكون فيه كل من المتكلم المخاطب هو الذي يتحكم في طبيعة الخطاب ومقاصده.

ويظهر كذلك تأثير السياق عند ابن الأثير ووعيه بوجوده وضرورته في استعمال الأوزان المعبرة عن مقاصد قوية بدل استعمال الأوزان التي تدل على المعنى المراد وصولهُ للمخاطب ويقول في ذلك ابن الأثير: اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد وأن يتضمن من المعنى أكثر مما كان يتضمنه أولاً، والدليل على ذلك أن الألفاظ هي أدلة المعاني وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني بقدر ما زيد في الألفاظ. فالسياق يوجب استعمال صيغ صرفية دون أخرى لغرض التبليغ عن معنى أشد وأبلغ من الأول، ففخامة المعنى من فخامة اللفظ، وفخامة هذا الأخير من فخامة السياق الذي يكون فيه المتكلم ومثال ذلك عند ابن الأثير في قوله: "فمعنى "خشن" دون معنى "اخشوشن" لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو"[2]. فالزيادة الحاصلة "خَشُنَ" على وزن "فَعُلَ" والمتمثلة في العين والواو، أي "اخشوشن" على وزن "افعوعل"دعا إليها سياق التعبير عن كثرة الخشونة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: 42)فلفظة "مقتدر" الصادرة على وزن "افتعل" من "فعل" حيث يضيف قائلا: "فمقتدر هنا أبلغ من "قادر" من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن وفور الغضب، وكثرة السخط" إذن فسياق الغضب والسخط جعل المتكلم يستعمل "مقتدر" بدل قادر لقدرتها على التعبير عن مقصد الله المتمثل في قدرته المطلقة والمعجزة في تنفيذ فعل الأخذ وهذا ملمح تداولي يوضح دور السياق في استعمال أوزان أكثر قوة لتبيين مقاصد مناسبة لتلك القوة، ووصولها للسامع بتلك الحالة التي يريدها المتكلم أن تصل.

[1] ينظر السكاكي، الصناعتين، ص 256.

[2] المرجع نفسه ، ص193.

إن وجود قاعدة معرفية مشتركة بين المتخاطبين، من أنجع وسائل استمرار العملية التواصلية، فلا يبذل كل منهما جهدا في التواصل مع الآخر، فالمتخاطبان في هاته الوضعية الجيدة يصنعان سياقا خاصا بهما، مشتركا إلى حد ما مع غيرهما من المتخاطبين في نفس الوقت.

أما في وضعية يفوق أحدهما الآخر سواء في فنون الخطاب أو التأويل ،فإنه من الصعب إلى حد ما وثوق فهم أحدهما للآخر ، متكلما كان أم سامعا مؤولا، فاستعمال الحذف بأنواعه مثلا أو إيراد كلام ظاهره يدل على معنى و باطنه على معنى مغاير، من طرف المتكلم إنما يكون على علم بقدرة السامع على كفاءته التأويلية وفك شفرات المحذوف انطلاقا من معرفة أحدهما بالآخر .

خلاصة:

يظهر الحس التداولي عند ابن الأثير من خلال مراعاته لأحد أهم أطراف العملية التواصلية، هذا الطرف المستفيد من المدرك لمقاصد المتكلم بالنظر إلى السياق الذي جرت فيه.

وعليه يتضح لنا من كل ما سبق عناية ابن الأثير بالعملية التواصلية ككل، فطرفها الأول ومحركها الرئيس هو المتكلم الذي ينتج الخطابات ويتفنن في إنتاجها عن طريق كفاءته اللغوية التداولية لأجل تبليغ مقاصده من هذا الفن أو ذاك، والطرف الثاني الذي يقابل المتكلم ويتلقى خطاباته ويفهم مقاصده انطلاقا من كفاءته التأويلية الفهمية والطرف الثالث هو كونهما مستعملان للغة من ناحيتي الكلام والفهم، فالمتكلم يتكلم ويفهم قوله وقول مخاطبه لما يقع موقع المتكلم، ويكون ذلك الاستعمال على قدر منزلتهما وظروفهما التي من شأنها التأثير المباشر على العملية التواصلية برمتها.

فالتداولية إذن قائمة على تداول الأدوار الفاعلة ، الناجم عن الاستعمال المقصود للغة لتبليغ مقصود ما تِجَاهَ مخاطب ما وفق سياق ما.

الخاتمة

خاتمة:

لقد أفضت هذه الدراسة المتمثلة في "**القضايا التداولية في شواهد ولغة كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور–لضياء الدين بن الأثير–**" التي حاولنا فيها أن نبرز القضايا التداولية التي اشتمل عليها القطب الثاني من كتاب الجامع الكبير لابن الأثير انطلاقا من الخاصية التي يتميز بها هذا الكتاب، إذ تبرز العلاقة التكاملية بين الجانب البلاغي واتصاله المباشر والصريح باستعمال اللغة في العملية التواصلية، وهو ما يؤكد على البعد التداولي في هذا الكتاب، ولذلك ألفينا القضايا التداولية التالية:

- **الأفعال الكلامية**: التي تعد بؤرة الخطاب إذ يقوم كتاب ابن الأثير على أساس، وفي سياق محدد، هذا السياق الذي يعكس عصر ابن الأثير وخصائصه واحتياجه ٬لى مثل هذه المؤلفات، وعليه تبرز الأفعال الكلامية في الجامع الكبير من خلال صيغ الكلام سواء كانت أمرا ام نهيا، أم استفهاما صيغا أصلية حقيقية، أو ما يتفرع عنها من دلالات زمعان تخرج عن مقتضى دلالتها الظاهرة إلى أغراض أغراض تواصلية بحسب ما يقتضيه السياق، وهي أفعال متضمنة في القول متفرعة عن القصد، فكل قول في الأصل هو فعل يتحقق في الواقع، ولكل قول يمكن إنجازه بواسطة فعل فلكل قول فعل ومثتل ذلك: صيغة الأمر، وهو أكثر قول تجلى في خطاب ابن الأثيرن وكل فعل متضمن في القول (صيغ العقود والمعاهدات) فالفعل لا يقع إلا عن طريق التلفظ بالقول المناسب له.
- **الحجاج**: إنّ كتاب ابن الأثير باعتباره ردا على بعض اللغويين ابن سنان الخفاجي أخذ طابعا حجاجيا، فكان يحاجج المتلقي بعدة استراتيجيات أهمها (إيراد ألفاظ وصيغ حجاجية كاستخدامه لفعل الأمر "اعلم"، وإيراد تعريفات وشواهد كثيرة للقضية الواحدة، وعرض آراء خصومه ودحضها بحجج وشوهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، وكلام العرب، واستخدام آليات وروابط لغوية: كالصور البيانية متمثلة في الاستعارة، والكناية، والتشبيه ، وكذا في استخدام الإطناب، والتقديم والتأخير،...وفي الاعتماد على روابط حجاجية كحروف العطف وحروف الجر، والتي تسهم بشكل فعال في الربط بين الحجج وتقويتها.
- **القصدية**: وتتجلى في كل مباحث الكتاب، إذ القصد الرئيسي للكتاب هو محاولة استدراك ما غفل عنه علماء اللغة السابقون، حيث عرض ما توصل إليه بعبقريته الفذة على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء.

مادام خطاب ابن الأثير خطابا موجها إلى متلقي فإنه يوضح مقصده الأساسي من هذا التأليف، ومن ثمّ يبرز اهتمام ابن الأثير بالمتكلم والسامع وسياق التأليف، حيث أشار إلى المتكلم في جل مواضيع الكتب، وأطلق عليه تسميات مختلفة كالناظم، والمؤلف، واناثر، والمتكلم، وعمد إلى إيراد شروط وقوانين على المتكلم الإلزام بها لنجاح خطابه، كما لم يغفل السامع إذ الخطاب يوجه للمتلقين وحسب مقاماتهم، كما اهتم بسياق التخاطب الذي يتحكم في توجيه الخطاب.

-إن الدراسة التداولية تجمع بين التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول أن يكون القول موصولا بالفعل، وهو متى تعلق بالنصوص التراثية كان وصفا لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، إذ لا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي الذي يتميز عن غيره من الإجراءات التي تعالج مثل هذه النصوص.

إنّ أهم ما توصلنا إليه هو أنّ "علم البلاغة" يحمل في طياته معالم التداولية وهذا ما لمسناه في كتاب ابن الأثير الذي اشتمل على قضايا تداولية مهمة وإن كان من أبرزها في هذا الكتاب "الحجاج" فلأن الكتاب جاء ردا على ابن سنان الخفاجي فتجلت فيه الآليات الحجاجية التي حاول ابن الأالأثير من خلالها إقناع المتلقي والتأثير فيه.

وأخيرا يمكن القول إنّ التراث العربي غني بجوانب مهمة من الدرس التداولي، وبخاصة كتب البلاغة، وكتب النقد، وكتب أصول الفقه، وعليه فإنّ ميدان البحث في هذه الكتب بمبادئ تداولية يبقى مجالا واسعا يمكن أن يفضي إلى نتائج إيجابية.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المعاجم:

1. روبول آن وموشلر جاك ، القاموس الموسوعي للتداولية،تر مجموعة من الأساتذة، دار سيناترا، دط، تونس، 2010م.
2. شاردو باتريك ومنغونو دومينيك ، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، دط، تونس، 2008م.
3. صليبة جميل ، المعجم الفلسفي للألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دط، 1982م.
4. علوش سعيد ، معجم مصطلحات العربية المعاصرة ، ط1، الدار البيضاء ، المغرب ، 1985 .
5. ابن فارس أحمد ، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1979م.
6. الفيروز ابادي محمد ابن يعقوب القاموس المحيط ، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت لبنان.
7. مجمع اللغة العربية، القاموس المحيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، د ب ط، 2004م،
8. مطلوب أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، الجزء الثالث، مطبعة المجمع العلمي العراقي1987م.
9. ابن منظور محمد ابن مكرم ، لسان العرب ، دار صارد ج11 ، ط 1 بيروت- لبنان.
10. مانغو دومينيك ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتين، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2008م.

الكتب:

1. ابن الأثير ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح د مصطفى جواد ود جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1956م.
2. ابن الأثير ضياء الدين ،كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تح النبوي عبد الواحد،شعلان، الزهراء للإعلام الآلي، ط1، 1994م.
3. ابن الأثير ضياء الدّين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلق عليه دأحمد الحوفي، و د بدوي طبانة، دار نهضة مصر للنشر والطباعة، الفجالة، القاهرة مصر، دت ط.
4. أحمد إبراهيم ، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، الدار العربية للعلوم، بيروت لبنان، ط1،2008م.

5. أرمينكو فرانسواز ، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، 1896 1، الرباط، مركز الإنماء القومي،ط1 .
6. إسماعيل صلاح ،فلسفة اللغة والمنطق دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، القاهرة مصر، دط، دت.
7. بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح محمود فهمي الحجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.
8. بلانشيه فيليب ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر:صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع ،ط1 ،اللاذقية سوريا،2007.
9. بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1 ،2003م .
10. بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية :مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة ، الجزائر، 2009م.
11. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، د ط، القاهرة مصر، 1960م.
12. الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني، السعودية، 1992م.
13. جماعة من المؤلفين، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمّان، الأردن، ط3 .
14. جمعة حسين ، في جمالية الكلمة – دراسة جمالية بلاغية نقدية– منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م
15. خطابي محمد ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1991م.
16. الخفاجي ابن سنان أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ، سر الفصاحة، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت لبنان ، 1982م.
17. ابن خلكان أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان، تح محي الدين عبد الحميد، مكتبة النعضة المصرية، القاهرة مصر، ط1.
18. الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007م، دط.
19. دلاش الجيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر:محم ديحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،ط1 .
20. الديدي عبد الفتاح ، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2 1985.

21. روبول آن وموشلار جاك ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت–لبنان، ط1 ،2003م.
22. الزركلي خير الدين ، الأعلام، ط2، دمط، د ت ط،.
23. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، الكشاف
to pdf:
http://www.al-mostafa.com
24. زيدان جورجي ، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، د م ط، د ت ط.
25. السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية تح، عبد الحميد الهنداوي، ط1، بيروت لبنان، 2000م.
26. الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، بيروت،ط1، 2004م.
27. صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة,بيروت_لبنان,ط1, 2005م.
28. الصراف علي محمد ، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009م.
29. صولة عبد الله ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج لبرلمان وتتيكا، ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطوإلى اليوم) فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوية تونس، سلسلة آداب، 1998.
30. صولة عبد الله ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، جامعة منوبة، تونس، كلية الأدب، 2001م.
31. طروس محمد ، النظرية الحجاجية دار الثقافة، الجزائر، ط1، 2005م.
32. الطلبة محمد سالم الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2008م.
33. طلحة محمود ، تداولية الخطاب السردي.دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عام الكتب، ط1، الأردن، 2012م.
34. ابن عاشور محمد ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د ط، تونس، 1984م.
35. عبد الحق صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ،دار التنوير للطباعة والنشر ، ط1، بيروت لبنان،1993م.
36. عبد الرحمن طه ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، الدار البيضاء –المغرب، بيروت –لبنان، ط2 ، 1996م.

37. عبد الرحمن طه ، **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2002م.
38. عبد الرحمان طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، 2000م ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب ، ط2، 2000م.
39. العبد محمد ، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، م س.
40. العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع،المغرب،ط1، 2006م.
41. ا
لعسكري أبو هلال ، كتاب الصناعتين" الكتابة والشعر"، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات دار المكتبة العصرية ، صيدا بيروت، 1986 م.
42. العمري محمد، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م.
43. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة.
44. غماري نصيرة ، نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006م.
45. فيليب يلا نشيه، التداولية من أوستين إلى غولفمان،تر صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية سوريا، 2007م.
46. القرطاجني أبو حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، دار الغرب الإسلامي، دط، دبط، دت ط.
47. القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003م.
48. قلقيلة عبده عبد العزيز ، البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، ط3 القاهرة، مصر،1992م.
49. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض السعودية، 1999م.
50. كلماير، أساسيات علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ط1،القاهرة مصر، 2009م.
51. الكواز (محمد كريم)، البلاغة والنقد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

52. المتوكل أحمد ، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، سلسلة بحوث ودراسات5، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط1، الرباط المغرب،1993م.
53. المتوكل أحمد ، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2م.
54. المتوكل أحمد ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتدادات، دار الأمان، ط1، الرباط المغرب 2006م.
55. المتوكل أحمد ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 1985م.
56. مراغي أحمد مصطفى ، علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع)، دار الآفاق العربية، القاهرة مصر، ط1، 2002م.
57. مطلوب أحمد ، ضياء الدين ابن الأثير –سيرة ومنهج–مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، د ب ط، 1988.
58. ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب، تر عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مج2 ،ط2، 2009.
59. مهران محمد رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ،ط،1998م.
60. مهران محمد رشوان،مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة مصر، 1984م.
61. نحلة محمود أحمد ،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002م.
62. ابن وهب إسحاق إبراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان، تحقيق حفني محمد شريف، مكتبة الشباب، مصر، دط، دت.
63. يزيد بهاء الدين محمد ، تبسيط التداولية ، شمس للنشر والتوزيع، ط1 ، القاهرة ، مصر، 2010م.
64. يول جورج ، التداولية، تر: دقصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان،ط1، الرباط، المغرب، 2010م.

الرسائل الجامعية وأعمال الملتقيات والمجلات والدراسات:

1. برارات عائشة ، دلائل الإعجاز من البنيوية إلى التداولية، مجلة قسم الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد11، 2011م.
2. بلبع عيد ، التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ص12 .
3. بلخير عمر ، الخطاب تمثيل للعالم، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية(الخطاب المسرحي نموذجا).
4. بلعلي آمنه ، المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته ، ملتقى علم النص، المجلة صدرها معهد اللغة، .جامعة الجزائر، العدد 11 .
5. بوبكري راضية خفيف ، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية، العـدد 399 السنة االرابعة و الثلاثون تموز مجلة الموقف الأدبي، 2004 م.
6. بودرعع عبد الرحمن ، أثر السياق في فهم النص القرآني الإحياء، الرابطةالمحمدية للعلماء، العدد 25، 200 بوقرومة حكيمة ، نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين وسيرل ودورها في البحث التداولي،مقالة، كلية آداب واللغات، جامعة المسيلة.
7. تقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012م.
8. الثمري عادل ، التداولية ظهورها و تطورها www dorob ,com /z p
9. حسن الحريري، **الرؤية التداولية للتراث في مشروع طه عبد الرحمن الفكري من سياسة الخطاب إلى منطق الخطاب**، http://www.search.ask.com/web?l=dis&q13/12/2014- 22:20
10. دقة بلقاسم ، استراتيجية الخطاب الحجاجي ، دراسة تداولية في الاشهارية العربية، مجلة ، أبحاث في اللغة والآدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد1، 2014م.
11. رشيد بلحبيب، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، http://www.riyadhalelm.com/researches/15/63w_athr_anasr.doc2 2/11/2014 21:15
12. شيتر رحيمة، التداولية وآفاق التحليل(مقال) جامعة محمد خيضر، بسكرة.

13. عبد العزيز وحيد الدين طاهر ، النظم وتضافر القرائن ونحو النص (بحث في جذور النظرية وعناصر مكوناتها) جامعة جنوب الوادي، مقالة، جمهورية مصر العربية.

14. العزاوي أبو بكر ، نحو مقاربة حجاجية للإستعارة،مجلة المناظرة، العدد4، المغرب،1991.

15. علاء اسماعيل الحمزاوي ، ملامح تخاطبه عتد الاصولين

http://www.saaid.net/arabic/176.htm12/08/2015-23:13

16. فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، أغسطس، 1992م.

17. قويدر شنان، التداولية في الفكر الأنجلو سكسوني المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 11 جانفي 2006.

18. لهويمل باديس ، التداولية والبلاغة العربية، مقالة نشرت في جامعة بسكرة،-*univ biskra.dz/lab/lla/ilehwimel*

19. محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية، ص 08

20. www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php

21. مدور محمد ، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية، جامعة باتنة، 2014م.

22. الولي محمد ، السياق إشكالية قديمة في أضواء جديدة، الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد 25، 2007م.

المراجع الأجنبية:

1. **–A**ustin (john lang shaw),How to o things with words ,2nd, Oxford University ,Press, 1975. P16.
2. -Chaim Perlman et Lucie olberchts Tyteca, Traité de l'argumentationla nouvelle rhétoruque, préface de Michel[1] Meyer,5 éme édition,édition de l'université de bruxelles.
3. -Geoffrey leech, principales of pragmatics, longman published, 9th , 1996
4. -Jean DUBOIS, Dictionnaire de linguistique, Paris 1989

5. -Marie – Noelle GARY – PRIEUR : Les termes clés de la linguistique, éd. Seuil, Oct. 1999.
6. -John lyons an introduction combridge university press, linguistic semantics, 2nd published 1996.
7. -reader.digestoscfordcompletewordfinder .london.u k.1994.
8. ROBERT,DICTIONNAIREALPHALéTIQUE ET ANALOGIQUE DE LANGE FRANCAISE,PARIS,1995
9. -Le grannd robert ; dictionnaire de la langue francais, 1er edition ;pris ;1990 ;p65 .

مواقع الأنترنت:

1. Ara biolin.blogspot.com.2012-02-blog ;post,22h t m l .
2. http://www.alukah.net/literature_language/0/69299/#ixzz3k2xE7q2r
3. http://attanafous.univ-mosta.dz/index.php/2013-04-11-13-37-38/10-7
4. http://almothaqaf.com/index.php/idea2015/894493.html
5. http://www.maaber.org/issue_february15/books_and_readings1.htm 12/03/2015-23:14
6. 2015/04/28 15:30 http://vb.tgareed.org/t/366785
7. http://www.ta5atub.com/t1371-topic25/07/2015
8. ar.wikipedia.org/wiki13/03/2015,14 :20

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة.....	01
تمهيد: التعريف بالمؤلِّف والمؤَلَف.....	04
1-التعريف بالمؤلِّف:.....	05
-مولده ونشأته:.....	05
-آثاره:.....	06
2-التعريف بالكتاب:.....	11
الفصل الأول: أفعال الكلام في كتاب الجامع الكبير	15
تمهيد.....	16
المبحث الأول :نظرية الأفعال الكلامية.....	17
مفهوم الفعل الكلامي:.....	17
شروط الملاءمة عند أوستين:.....	18
التمييز بين الأفعال عند أوستين:.....	19
تقسيم أوستين للأفعال الكلامية:.....	22
مساهمة سيرل:.....	23
المبحث الثاني: أفعال الكلام عند ابن الأثير.....	34
الإخباريات (التقريريات):.....	34
التوجيهيات: (الأمريات).....	40
التعبيريات:	42
الوعديات (الالتزاميات).....	47
الإيقاعيات (الإعلانيات).....	50
خلاصة.....	53
الفصل الثاني: الحجـــاج والقصدية في كتاب الجامع الكبير.....	54
تمهيد.....	55
المبحث الأول : الحجاج.....	56
1)المعنى اللغوي للحجاج:.....	56

2 الحجاج اصطلاحا:.....	57
3-الألفاظ.....	65
4-الصور البيانية:.....	67
المبحث الثاني : القصدية.....	89
مفهوم القصد:.....	89
أهمية المقاصد:.....	89
القصدية عند ابن الأثير:.....	90
خلاصة.....	99
الفصل الثالث: المتكلم والسامع والسياق في كتاب الجامع الكبير.....	100
تمهيد:.....	101
المبحث الأول :المتكلم.....	102
المبحث الثاني: السامع.....	111
المبحث الثالث: السياق.....	118
خلاصة.....	132
الخاتمة.....	133
فهرس المصادر والمراجع.....	136
فهرس الموضوعات.....	145